السجين والملوك

مترجم عن كتاب

The Prisoner and the Kings
by William Sears

الإصدار الأول 2013

قائمة المحتويات

تمهيـــد--4
مقـدمـة--5

الفصل الأول---6
الجزء الأول : القـتلة--6

الفصل الثاني---9
الجزء الأول: السجين---9
الجزء الثاني: قصة "الباب" الماساوية---------------------------------12
الجزء الثالث: سجن الجب الأسود------------------------------------16
الجزء الرابع : أصوات فى الليل--------------------------------------20
الجزء الخامس : وزن السلاسل--------------------------------------22

الفصل الثالث--24
الجزء الأول : الناقوس الأفخـم-------------------------------------24
الجزء الثاني : اللفافة المخبأة---27
الجزء الثالث: يوم الحساب---29
الجزء الرابع : الإنهيـار السريع--31
الجزء الخامس : تقلّب الأدوار---34
الجزء السادس : سقوط أول مملكة--------------------------------36

الفصل الرابع--38
الجزء الأول : "رب المعارك"---38
الجزء الثاني : صوت الحرب--40
الجزء الثالث: السيف المسلول---------------------------------------42
الجزء الرابع : أحد الملوك "ومليك الملوك "--------------------------44
الجزء الخامس: كوارث متتابعة--------------------------------------46
الجزء السادس: الخروج المشين-------------------------------------49
الجزء السابع: سقوط المملكة الثانية---------------------------------51

الفصل الخامس--52
الجزء الأول : القيصر المحرر---52
الجزء الثاني : استمعوا للنداء---55
الجزء الثالث: سقوط المملكة الثالثة-----------------------------------58

الفصل السادس--61
الجزء الأول : نهاية الإمبراطورية الرومانية المقدسة-------------------61
الجزء الثانى : إنقسام إلى أجزاء---64
الجزء الثالث : سقوط المملكة الرابعة----------------------------------67

الفصل السابع--70
الجزء الأول : نهوض مملكة--70

الفصل الثامن--76
الجزء الأول: بقايا الدار--76
الجزءالثاني: خارجا من الجب---79

الفصل التاسع--83
الجزء الأول: قاتل! قاتل!---83
الجزء الثاني: أمير الظالمين--86
الجزء الثالث: سقوط المملكة الخامسة !--------------------------------88

الفصل العاشر--90
الجزء الأول : الإعـلان---90
الجزء الثاني:"عرش الظلم"---93
الجزء الثالث: النفي الأخير---97
الجزء الرابع :- الرحلة عن طريق البحر-------------------------------101
الجزء الخامس :- ملك البهاء يدخل البوابة----------------------------104
الجزء السادس : "المأدبة الإلهية"--------------------------------------107

الفصل الحادي عشر--112
الجزء الأول: تحذير--112

الجزء الثاني: المدينة المتينة---114

الجزء الثالث : قرع للطبول---117

الجزء الرابع : سقوط المملكة السادسة----------------------------121

الفصل الثاني عشر--124

الجزء الأول : جبل الكرمل--124

الجزء الثاني : مركز الميثاق---126

الجزء الثالث: سلاح الله---130

الفصل الثالث عشر--134

الجزء الأول: سقوط الممالك في كل مكان--------------------------134

الجزء الثاني : "من رأس الكرمل"------------------------------------138

الفصل الرابع عشر---141

الجزء الأول : ميراث الملوك---141

الجزء الثاني : نظرة جديدة للتاريخ-----------------------------------144

الجزء الثالث: أصداء من الماضي------------------------------------147

الجزء الرابع: أصداء أخرى لذات القلم الأعلي-----------------------150

الجزء الخامس: " يا ملأ الرهبان"------------------------------------154

الجزء السادس: القادة العميان--------------------------------------159

الفصل الخامس عشر--------------------------------------162

الجزء الأول: ثوار الله---162

الجزء الثاني: الإنقلاب الروحاني-------------------------------------165

الجزء الثالث: مجتمع عالمي---167

ملحق الصور ---172-

تمهيـــد

يسعدني أنا وشركاء هذا العمل أن نقدم للقـارئ العـربي هـذا الكتاب مترجما من الانجليزية للعربية عن أحـد الأعمـال الكتابيـة البارزة في تاريخ الأمر البهائي المبارك، ألا وهو كتـاب (السـجين والملوك) للكاتب المتميز "وليم سيرز" الصادر باللغة الانجليزيـة باسـم "The Prisoner and the Kings". وأقـدم عظيم الامتنـان للسـيد "سـيفي سـيفي" للمسـاعدة في المراجعـة والتدقيق لهذا الإصدار كما أنوه إذا أمكن لقارئنا الفاضل الإطلاع علي "ألواح حضرة بهاء الله للملوك والرؤساء" أثناء قراءته لهذا الكتاب حيث سيكون لها أثراً متمـيزاً وراسـخاً في الفهم وزيـادة الاستفادة.

روحيه حسن

السجين والملوك

بقلم: وليـم سيرز

مقـدمـة

يحدثنا كتاب السجين والملوك عن قصة أعظم لغز في العصر الحـديث. ففيمـا بين عـام 1867 وعـام 1873، كتب سـجين معـزول في مسـتعمرة تركيـة،سلسـلة من الرسـائل لملـوك وأباطرة تلك الفترة، تنبـأ فيهـا بدقـة مذهلـة عن مجـرى التـاريخ الحـديث، من انهيـار دول وسـقوط عـروش وانحـدار مؤسسـات دينيـة ونهـوض الشـيوعية العالميـة وقيـام دول جديـدة ومخـاطر التلوث النووي.

هذا السجين هو "حضرة بهاءالله"، أروع رجل في عصـرنا بـل وفي جميع العصور طراً. ما السر وراء هذه الحفنة من الرسـائل المذهلة؟ ما هو مصدر علم هذا السـجين؟ ومـا الـذي تخبرنـا بـه هـذه الرسـائل عن الإنسـانية ومسـتقبلها في القـرن العشـرين؟ "بهاءالله" هو اسم فارسي! ومن الوارد جدا أنه سيكون معروفـا لأبنائكم كمعرفتهم لأسمائهم.

الفصل الأول

الذعر فى الطرقات

الجزء الأول : القـتلة

إن فخامة الزي الرسمي للقيصـر ويلهلم الأول كـانت تتحـدث عن نفسها، فخوذتـه تلمـع كشـمس ثانيـة داخـل عربتـه الملكيـة المتمايلة بهيبة وفخامة طوال شوارع برلين المشـجرة. ويتبـاهي الملك بنفسه متسائلا: أيوجد ملك آخر يضاهيني؟

نعم هناك ما يدعوه للتباهي! فلقد حقق أكـثر ممـا كـان يحلم، فانتقم من فرنسا وأذلها، وأصبح أول ملك بروسي يحكم ولايـات المانيا المتحدة كإمبراطور.

فجأة.. حطم هذا المشهد الهادئ دوي طلـق نـاري! واخـترقت رصاصة خوذة القيصر، فهوى على كرسي عربته متـأثرا باصـابته الخطيرة، وانطلقت صيحات الذعر في شوارع بـرلين... قاتـل... قاتل.

نجا ويلهلم الأول من الرصاصـة الـتي كـادت أن تـودي بحياتـه والتي كانت علامة على بداية سلسلة من الكوارث الـتي ضـربت أقرانه الملوك في أوروبـا والشـرق، وكـان أغلب هـؤلاء الملـوك أسوأ حظا منه.

في القسطنطينية العظمى، كان هنـاك ملـك آخـر يجلس على عرشه بتفاخر، وهو أيضا غير مدرك تماما لشـراك المـوت الـتي تتجمع خيوطها حول ملوك الأرض.إنه السلطان عبدالعزيز حـاكم الإمبراطورية العثمانيـة العظمى الـذي أحـاط نفسـه بشـبكة من الجواسيس لحمايته، كانوا يبلغونـه عن أتفـه الشـكوك الـتي قـد تهدد العرش؛ وفي المقابل، كان أعداء السـلطان بنفس الدرجـة من الحرص والدقة. فجأة وبدون سـابق إنـذار انتشـرت الأقـدام المسرعة بين أروقة القصر معلنة عن قيام ثورة.

شحب وجه السلطان عبدالعزيز عندما صاح طالبا النجدة دون إسـتجابة، لم يكن هنـاك مكـان يلجـأ اليـه؛ ألقى زعمـاء الثـورة القبض عليه بمنتهى القسوة وسجنوه داخل قصره. وهكـذا لحـق به نفس المصير الذي طارد ملوك الأرض. وفي صباح أحد الأيـام

ظهرت آثار القاتل مما أدى إلى إثارة الرعب وعلو الصيحات في شوارع الآستانه.. قاتل..! قاتل..!

ويبدو أن هناك ملك ثالث كان ينتظره ذات المصير. إنه نيقـولا الكسندر الثاني قيصر روسيا. كـان أتعس حـالا، فلقـد عـاش في خوف طوال أيام حياته وكانت دوريات الحراسة على بابـه تتغـير باستمرار، ويتم مسبقا اختبار جميع أطباق الطعام التي تقدم له، كمـا كـان جنـاح النـوم الملكي يفتش كـل ليلـة. كـانت هـواجس الملك المفزعة مادة للقصص التي يتبادلها الشعب عن القيصـر. وبالرغم من أنه كان يجوب الشـوارع بعربتـه المكشـوفة محـاولا تكذيب الإشاعات المـدمرة المتداولـة، إلا أنـه داخليـا كـان هائبـا متوقعا ظهور عدو خفي.

وجاء اليوم المحتوم، فبينما كانت عربتـه الملكيـة تجـوب أحـد شــوارع المدينــة، كــانت هنــاك حركــة غــير عاديــة بين جمــوع المحتشدين، ثم صوت انفجار قنبلة أمام العربة. أسرع الحـراس لاعتقال المشـتبه بـه، ثم ترجـل الكسـندر من عربتـه لمواجهتـه، ولكنـه قبـل أن يتمكن من حمايـة نفسـه، سـارع شـريك القاتـل بالقاء قنبلة ثانية انفجرت تحت أقـدام القيصـر. ففـرت الجمـوع هاربة في كل اتجاه على غير هـدى، ونقـل الكسـندر الثـاني الى قصـره متـأثرا بجراحـه المميتـة. وقبـل إنقضـاء اليـوم، كـانت الهمسات في شوارع بطرسبرج تدور عن القاتل.

في قارة أخرى، ملـك رابـع جرفـه نفس المصـير. ناصـرالدين شاه ملك إيران. كان في طريقه لتأدية الصلاة بهدوء في أمسـية الاحتفال باليوبيل الذهبي لتتويجه، بعد خطط بعناية لكـل خطـوة من هـذا الإحتفـال العظيم تمجيـدا لإسـمه وتخليـدا لـذكراه في التـاريخ. فجـأة وبـدون سـابق إنـذار، وبينمـا كـان يصـلي، باغتتـه رصاصة. إن المأساة الملكية التي وقعت في طهران، هي تكرار لما حدث في برلين وبطرسبرج والقسطنطينية!! دوت صـرخات الذعر بين الحاشية عـاجزين عن التصـرف، ذهـل رئيس الـوزراء الذي كان مرافقا للشاه نتيجـة الحـدث المفـاجئ، وأمـر بكتمـان الخبر على الأقل حتى انتهاء الاحتفال.

تم حمـل جثمـان الشـاه لعربتـه سـراً، وجلس الصـدر الأعظم (متوارياً) خلف الجثة ليثبتها على مقعدها وهو في طريـق عودتـه لقصره غارق في جمود الموت غـير مـدرك لصـخب الموسـيقى

وتفجر الألعاب الناريـة أو لرفرفـة الأعلام في كـل مكـان؛ كـانت الجموع مبتهجة تهتـف باسـم وحيـاة جلالتـه الـذي لقب نفسـه بـ "ملك الملوك". وبمجرد وصول العربة الى القصر، صرخ الوزراء بفزع وذعر شديد: قاتل.. قاتل.!

الفصل الثاني

أدعُ الأمم الى الله

الجزء الأول: السجين

ترى أي قدر محتوم جمع ملوك ألمانيا وروسيا وتركيا وإيـران؟ لماذا عصفت بهم جميعـا هـذه النهايـة العنيفـة في نفس الـوقت تقريبـا؟ قصـتهم هـذه هي من أعظم القصـص الدراميـة لجيلنـا! لمـاذا لم نسـمع المزيـد عنهم؟ فلم يكونـوا ملـوك من قصـص الخيـال، ولم يكن سـقوطهم ودمـارهم جـزء من روايـة تاريخيـة مشـكوك فيهـا أو مـأخوذة من بعض صـفحات قصـص الإثـارة الشهيرة. لقد كانوا قادة ممالك بالفعل، فسقطوا هم وممـالكهم من بعدهم ومحيوا. ومنذ ذلك الحين وخلال نصف قرن، سقط ما لا يقل عن عشرين مملكة! أفليس عجيبا أن القـدر الـذي أطـاح بهم، أخـذ يلاحـق حـتى خلفـائهم في جمهوريـات حلت محـل ممالكهم!.

إن الحلقـة الـتي تربـط الملـوك الأربعـة وأتبـاعهم معـا، هـو "سـجين"ـ زج بـه في زنزانـة منعزلـة في إحـدى القلاع التركيـة الواقعـة على سـاحل فلسـطين. لكن.. من غـير المعقـول أن يتحدى سجين لا حول له ولا قوة، حكام العالم أجمع.

اثنـان من هـؤلاء الملـوك قامـا باضـطهاده وإهانتـه بوحشـية، وبالرغم من أنهما كانـا عازمـان على إسـكاته، إلا أن محاولاتهمـا بأتمها باءت بالفشل الذريع. ولم تؤد كل تلك الخطط التي دبرت للتخلص من هذا السـجين، إلا لعلـو أمـره، ودنـو شـأنهم، "كأنهـا أخطـاء كوميديـة في مسـرحية هزليـة"، وتـدريجيا أصـبحوا هم السجناء، وهـو، كمـا قـال أحـد المـؤرخين البريطـانيين: "موضـع محبة يحسده عليها الملوك والأباطرة، وعبثـا يحـاولون الوصـول اليها".

هذه قصة فريدة عجيبـة لم يوجـد في التـاريخ مثيـل لهـا أبـداً. قصة "سجين".. قُذف بالأحجار ثلاث مرات؛ وعانى آلآم خيزرانـة الفلقة على أخمص قدميـه؛ وجُــلد حـتى تمـزق جلـده؛ وسـالت الدماء من جروح وكـدمات جسـده؛ وكُــبل بـالأغلال حـول عنقـه حتى أحنت ظهره؛ وتركت سلاسل حديدية ثقيلـة شـدّت بأقفـال

ومسـامير لبعضـها البعض، نـدباً عميقـة غـائرة في أكتافـه طيلـة حياته؛ وسَلخت أسفل قدميه مقطرة خشبية كبلتا بهـا؛ وثبّت في مكانه على أرضـية السـجن بسلاسـل حديديـة مـع مجموعـة من رفاقه؛ ودس له السم ثلاث مرات؛ وجردته فرمانات الملوك من ثروته الطائلة ومكانته الاجتماعية العالية؛ وأبعدوه مع عائلتـه عن قومه ومسقط رأسه؛ ثم نُـفي بعيـداً عن أرض وطنـه إلى الأبـد لأربع مـرات متتاليـة، كُــل منفى منهم أقسـى من سـابقه. وفي النهايـة حـاول الملـوك التخلص منـه بنفيـه الى أبشـع منفى في الشرق الأوسط، مكان اعتقدوا أنـه محـط نهايتـه. فكـان سـجنه الأخير يقع في حصن محـاط بالخنـادق المائيـة وجـدار عـالي من صخر صماء بفتحات ضيقة. لقد كان محاطا بالأعداء وبمنـاخ غـير صالح للسكنى ومنطقة مليئة بالأمراض والأوبئة.

وصـل الملـوك الى مرحلـة من الثقـة أن مـوت هـذا السـجين محتّم ولن يُسـمع عنـه ثانيـة. إن مـا حـدث كـان يجب أن يكـون النهاية، ولكنه في الحقيقة لم يكن إلا مجرد البدايـة، ففي غمـرة أحداث القتل والمعاناة، تنبأ هذا السجين بدنو إنهيـار ممالـك كـل هؤلاء الملوك، حيث وصف حتمية إندثار امبراطوريـاتهم، وكـانت دقة تلك النبؤات مخيفة.

من هــذه الأرض التاريخيــة المقدســة، أرســل هــذا المنفي المعزول إنذراته للملوك يحذرهم من الكارثة التي توشك أن تقع عليهم، ووصــلت هيمنــة هــذه الشخصــية الغامضــة للقــارتين الأوروبية والآسيوية لدرجة هزت ممالكها حتى تزعزعت قواعدها وتصدعت هياكلها، فهوت..!

وبالرغم من معاناة هذا السجين على أيدي هـؤلاء الملـوك، إلا انه عرض عليهم يد العون لمنع تلك الكوارث الوشيكة! ترى هـل أكترثوا لكلماته؟ لو أنهم أنصـتوا إليـه لتجنبـوا قـدرهم المحتـوم، ولما اندثرت جموع من الممالك واحدة تلـو الأخـرى من مسـرح هذا الزمان.

ولنتساءل من هو هذا السجين؟ ما علاقة سجين منفي بــأعتى أربع ملوك في عصـره؟ لقـد أعلن أن لـه شـأن وطيـد بـالملوك وحكومـاتهم، وأخـبرهم بكـل وضـوح أن رسـالته في الحيـاة هي إيقاظ حكام العالم لأداء واجباتهم الإجتماعيـة والروحيـة في هـذا

العصر الجديد، وأعلن أنه أداة إلهية أرسلت لحماية المظلـومين والمقهورين في الأرض وتحدى الملوك بقوله:

(وإنْ لنْ تمنعوا الظّالم عن ظلمه ولن تأخذوا حقّ المظلوم فبأي شيء تفتخرون بين العباد وتكـونن من المفتخرين)

دعى السجين الملوك والرؤساء لتوحيد طاقاتهم وبذل الجهـود للوصول بالبشرية الى العدالة الإجتماعية والسلام قائلاً:

"قم بين النـاس بهـذا الأمـر المـبرم ثم أدع الأمم الى الله العلي العظيم"

ما الذي يجعل أي ملـك يلتفت الى مثـل هـذا الأقـوال؟ من ذا الذي يصدق سجينا يعلن على الملأ إنهيـار أعظم ممالـك الأرض! كيف سيستطيع التحكم بمصـير الملـوك، وهـو لم يسـتطع حـتى إنقاذ نفسه من السجن!

ولكن هذا ما فعله بالتحديد! فلقـد ألقي الملـوك في السـجون وأطلق سراح السجين، ونفذت كلماته ونبؤاته الى عقـول جميـع البشر، بينما اختفت وتلاشت العروش. لقد تحققت النبؤات بدقة مذهلة خطوة بعد خطوة، حتى خُلع كل طاغية عن عرشه وجُـرّد من سلطاته وأفُل ملكهم الى الأبد، بالضبط كما ورد في الألـواح التي أرسلها هذا السجين من زنزانته في فلسطين.

إنها حقا أعجب قصص عصرنا هذا!

الجزء الثاني: قصة "الباب" الماساوية

تبدأ القصة في إيران سنة 1844م، فبالرغم من تـاريخ إيـران الطويـل في الإنجـاز الثقـافي، إلا انهـا كـانت في القـرن التاسـع عشر مرتعا لإنحلال وفساد أخلاقي لا مثيل له، فلقد كـان الشـاه حاكماً مستبداً وحكومته تتعامل بمزيج من ابتزاز المـال والتملـق والوحشية، وأصبحت إدارة شـؤون البلاد في أيـدي مجموعـة من السياسيين المرتشين ورجال دين متعصبين يوما بعد يوم.

فجـأة! وبينمـا تعـاني البلاد من أدنى درجـات الانحطـاط في تاريخهـا، ظهـرت نهضـة روحيـة لم تمـر بهـا أي أمـة أخـرى في العصر الحديث، تجربة استمرت تسع سنوات، عندما ظهر شـاب لقّب نفسـه "البـاب" ليعلن أن يـوم اللـه قـد إقـترب. فتهـافت عشـرات الألـوف من أرجـاء إيـران لاعتنـاق هـذا الأمـر الإلهي الجديد. كان أكثر أتباعه حماسا من طلبة المعاهـد الدينيـة! وبـدا للحظة من لحظات التاريخ، وكأن الأمة بأكملها قد تقبلت تعاليمه الـتي تنـادي بالعدالـة الإجتماعيـة والبعث الـروحي. إلا أن رجـال الدين ورجال الحاشية الملكية حالوا دون حدوث ذلـك - مـدركين بأن في هذه الدعوة خطـرا سـيهدد المزايـا الـتي يتمتعـون بهـا - فتمكنوا من إقناع الشاه بأن "الباب" مصـدر خطـر على ولايتـه. وبـرغم إظهـار البـاب لإحترامـه للسـلطة المدنيـة، إلا أن الشـاه اختار أن يأخـذ بـرأي مستشـاريه. وبـدأوا بشـن حملات الإرهـاب والتعذيب، وقاموا بمطـاردة الآلآف من أتباعـه في البلاد، ونفـذوا أعمال الغدر والتعذيب والذبح، وأخيرا في 9 يوليـو عـام 1850م أعدم "الباب".

كـان هنـاك شـاب من النبلاء من مؤيـدي أمـر البـاب، لقّبـه "بهاءاللـه". ولأنـه ينتمي لعائلـة شـهيرة وذو شخصـية محترمـة، كسب احترام البلاط الفارسي، فلم يتم قتله في المذبحة العامة لأتباع البـاب. ومـع أن زعامتـه للبـابيين المضـطهدين جعلتـه في مكانة خطرة بالنسبة للمعادين، حيث ظهر تصميمهم على قتلـه، بيد أنه لم يكن لديهم ذريعة معقولة يمكنهم بها إدانـة مثـل هـذه الشخصية المرموقة، فلقد كـان بهاءاللـه محترمـا بشـكل واسـع النطاق.

في عـام 1852، أتيح لهم المـبرر، فلقـد حـاول شـابان قتـل الشاه بإطلاق النار عليه عنـدما كـان خارجـا من قصـره ممتطيـا جواده، وفي الحال ألقيت المسئولية على أتباع الباب وبهاءاللـه، واجتاح الأمة عداء لا يمكن ردعه، وباءت بالفشـل كـل محـاولات تحري الحقيقة. فاتحد الشـاه والـوزراء ورجـال الـدين والشـعب على كراهيته، وابتهجوا لحصولهم على ذريعة للفتك بمن اعتبروه خطرا على الدولة والدين.

كمـا اعتقـل وقتـل كثـير من الـذين كـانوا مجـرد أصـدقاء أو متعاطفين مـع الـدين الجديـد، إلا اذا كـانوا أغنيـاء وقـادرين على مليء خزائن مضـطهديهم. أمـا بالنسـبة لحالـة "بهاءاللـه"، فقـد أدركت السلطات أن موضوع قتله أو تعذيبه يجب تدبيره بطريقة ماكرة، لأنه وعائلته كانوا يحظون باحترام كبير في البلاد، فوالده كان أحد النبلاء ووزير سابق حظى بتقدير كبير وشرف عالي في الدولة.

خلال تلك الأيام المحمومـة وبينمـا وصـلت موجـات الإضـطهاد الى ذروتها، كان حضرة بهاءالله ضيفا على رئيس الوزراء الجديد "ميرزا أقا جـان"، وكـان من المفـترض أن يكـون بمـأمن هنـاك. رئيس الوزراء هذا، سبق لـه وأن وعـد حضـرة البـاب بمسـاعدة أتباعــه المظلــومين الأبريــاء من غضــب الملــك، إذا قــام هــو بمساعدته في المقابـل. وقـد وفى حضـرة البـاب بوعـده. والآن وبعد أن أصـبح "المـيرزا أقـا جـان" الصـدر الأعظم، وجب عليـه أيضا مواجهة حرج الوفاء بوعده.

لا يوجد من هو أكـثر علمـا من الصـدر الأعظم بـبراءة حضـرة بهاءالله من أي جريمة. لكن مشكلة هذا الـوزير المهـزوز تتمثـل في طبيعـــة شخصـــيته، حيث أن ولاءه يتقلب باســـتمرار، ففي لحظة يأتيه خاطر يحثه على مساعدة أتباع البـاب المضـطهدين، وفي اللحظـة التاليـة يـتراجع في خـوف هائبـاً فقـدان مركـزه، فيعاود الهجوم على أتباع الباب.

في النهاية، تغلب خوفـه على شـجاعته وإنصـافه، وجلب على نفسه الخزي والعار.

حاول "ميرزا أقا جان" في البدايـة، إصـلاح الشـأن بين الشـاه وبهاءاللـه، فأرسـل رسـالة وديـة لحضـرة بهاءاللـه في كـربلاء

(العراق) – عندما كان حضرته منفيا لفترة وجيزة بأمر الصدر الأعظم السابق – يخبره فيها عن خططه ويدعوه للعودة الى العاصمة.

نزل بهاءالله لمدة شهر ضيف شرف على ميرزا أقا جان، وفي هذه المدة اندفعت أفواج من نبلاء ووجهاء طهران لملاقاته، وقد أثار هذا الاهتمام والتبجيل لحضرته غضب وحسد أعدائه.

كان حضرة بهاءالله ضيفا في قرية "أفجه"، عندما وصلت أخبار محاولة إغتيال الشاه، فشجب واستنكر هذه الفعلة بشدة، ولكنه أيضا رفض الإذعان لنصيحة أخو الصدر الأعظم الذي حضّه على الفرار للإختباء في المناطق المجاورة. وبدلا من ذلك، ذهب حضرة بهاءالله مشيّا على الأقدام إلى معسكر الجيش الشاهاني في قرية "نياوران" ليثبت براءته، بل ورفض أيضا اقتراحا بمرافقة حراس مسلحين لحمايته.

بوصوله الى قرية زرنده، قابله سكرتير السفير الروسي (الأمير دلغوروكوف) وأصطحبه الى منزله. فانتقلت الى ناصرالدين شاه في الحال أخبار وصول بهاءالله، وادهشته بشدة جرأته وقدومه الى معسكره مباشرة. أما الأمير دلغوروكوف، فقد اقترح على الصدر الأعظم "ميرزا أقا جان"، حماية بهاءالله من الأعداء الذين يريدون القضاء عليه، وذلك بأن يقيم في مقر إقامته الخاصة، لكن الصدر الأعظم خشى أنه لو تمادى في تقديم المزيد من الإهتمام بحضرة بهاءالله، فقد يؤدي ذلك الى فقدان مركزه ومكانته، لذلك سلّمه لأيدي مجموعة من أعدائه في الجيش.

نزع عن حضرة بهاءالله غطاء رأسه، وأخذ سيرا على الأقدام لمسافة ما يقارب الثلاثين كيلومترا من ضاحية شميران الى العاصمة طهران وهو عارى الرأس حافي القدمين تحت لهيب أشعة الشمس الحارقة مكبلا بالسلاسل والأغلال. وفي الطريق.. قام الجنود والغوغاء بتمزيق ملابسه الخارجية عدة مرات، وتعرض للضرب من قبل الضباط المرافقين له، وأحاطوه بالسباب والسخرية والتهجم والرشق بالحجارة.

وما كـاد يقـترب من العاصـمة، حـتى انـدفعت من بين جمـوع المحتشدين إمرأة عجوز متعصبة وهي ترفع حجرا بيدها وجسدها يرتعش غضبا، لكن المـوكب كـان يسـير بسـرعة لم تمكنهـا من اللحاق به، فصاحت صارخة: (أتوسـل اليكم أن تعطـوني فرصـة لأرمي هذا الحجر في وجهه!).

عندما رأهـا حضـرته وهي مسـرعة نحـوه، أسـتوقف الحـارس مدة كافية لإعطائهـا فرصـة اللحـاق بـه، قـائلا: (لا تمنعوهـا عمـا تعتقده عملا مجيدا عند الله).

"هو المخلص لأولئك المكبلون بالسلاسل"

الجزء الثالث: سجن الجب الأسود

ألقي حضرة بهاءالله في زنزانـة موبـوءة معتمـة تحت الأرض، ليمضي فيها أربعة أشهر، بعدما أقتيد في رواق مظلم ثم ليهبــط ثلاث درجـات، وكـان لا بـد عليـه من إحنـاء جسـده حـتى يمكن تقييده بالسلاسل إلى الأرض مع رفاقه بينما وضعت أقدامــه في مقطرة خشبية.

كان مسـجونا مـع حـوالي مائـة وأربعـون شخصـا، بينهم قتلـة ولصوص وقطـاع طـرق، ولم يكن هنـاك منفـذ خـارجي للمكـان المليء بالجرذان والحشرات والأمراض، سوى الباب الذي دخلوا منه. كان مكانا باردا ورطبا وذو روائح كريهة من استمرار تـراكم النفايات والقاذورات.

ولمدة ثلاثة أيام وليالي، لم يقدم لحضرة بهاءالله أي طعـام أو شراب. لقد أوثقوا عنقه باثنين من أشهر السلاسل آنذاك - تـزن الواحدة منها حوالي مائة رطل، وتسـتخدم فقـط لمعاقبـة أعـتى المجـرمين - حـتى سـلخت تلـك الأطـواق الحديديـة جلـده، ممـا استحال معه النوم.

أصبح جليا بعد فترة وجيزة من دخوله السجن، أنه ليس هنـاك أي أســاس للشــبهات المقدمــة ضــده، ومــع ذلــك ظــل مكبلا بالسلاسل في ذلك المكان الكريه. وفي كـل يـوم كـان السـجان يفتح الباب ليدخل معه بصيصا من الضوء مخترقا ظلمـة المكـان لينادي أسماء من سيتم تنفيـذ حكم الاعـدام بهم في ذلـك اليـوم وســط باحــة الســجن. كــان من الصــعب تخيــل مــدى البــؤس والمعاناة التي ألمت بهؤلاء الضحايا الأبرياء نتيجـة غضـب الملـك عليهم.

من هذا السجن الموبوء، بدأت رسالة حضرة بهاءالله، فمثلمــا هبطت حمامة الوحي على السيد المسيح عند نهر الأردن معلنــة بدء رسالته، هكـذا مسّـت نفس "روح القـدس" حضـرة بهاءاللـه في تلك الحفرة الكريهة التي ألقي فيها بأمر شاه إيران.

وقد كتب حضرته عن هذه المناسبة قائلا:

" أصغيت لتلك الكلمة العليا من جميع الجهات : (إنا ننصرك بك وبقلمك. لا تحزن عما ورد عليك ولا تخف أنك من الآمنين. سوف يبعث الله كنوز الأرض وهم رجال ينصرونك بك وبأسمك الذي به أحيا الله أفئدة العارفين)

وقد كتب حضرة بهاءالله بعد حوالي عشرين عاما في رسالته الى ناصرالدين شاه عن تلك الأيام التي قضاها في ذلك السجن المظلم، سرد فيها أحداث العشرون عاما الطويلة التي قضاها سجينا منفيا وتحملها في صبر. وبرغم كل ذلك ظل حضرته يشمل الشاه بالصبر والصفح وكرم المودة, فتفضل قائلا:

(يا سُلْطانُ إِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَكَ ظِلَّهُ بَيْنَ العِبادِ وَآيَةَ قُدْرَتِهِ لِمَنْ فِي البِلادِ أَنِ احْكُمْ بَيْنَنا وَبَيْنَ الَّذِينَ ظَلَمُونا مِنْ دونِ بَيِّنَةٍ وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ، إِنَّ الَّذِينَ فِي حَوْلِكَ يُحِبُّونَكَ لأَنْفُسِهِم وَالغُلامُ يُحِبُّكَ لِنَفْسِكَ وَما أَرَادَ إِلاَّ أَنْ يُقَرِّبَكَ إِلَى مَقَرِّ الفَضْلِ وَيُقَلِّبَكَ إِلَى يَمِينِ العَدْلِ وَكانَ رَبُّكَ عَلَى ما أَقُولُ شَهِيداً)

حذرت كلمات حضرة بهاءالله ناصرالدين شاه، إنه اذا لم يرفع يده عن الظلم، فستزول عزته وستنضب ثروته وسيتحول مجده الى ذلة. وأوضح كذلك أن كلمات الله لا يمكن أن تعيقها حوائط السجون وأنه سيخرج من السجن ليبني مملكته الالهية في قلوب البشر، وإن الملك الذي لا يصغي لتحذيراته، لن ينال سوى الحزن واليأس، فتفضل قائلا:

(ولا ريب أنّ بعد هذه البلايا رحمة كبرى ويلي هذه الشّدائد العظمى رخاء عظيم ولكن من المأمول أن يهتمّ حضرة السّلطان بنفسه الأمور حتّى يكون ذلك سبباً لرجاء القلوب وفيما عرضتُ الخير المحض وَكَفى باللهِ شَهِيداً)

منذ البداية، كان اهتمام الشاه الأول، أن لا يسمع المزيد عن بهاءالله، وكانت والدته تشتعل غضبا من كراهية حضرته، حيث وصمته بأنه سيكون: "قاتل ابني". كانت عازمة على هلاكه. ومن أغرب ملابسات تلك الأحداث أنها وجميع المتآمرين التابعين لها لم يتمكنوا من أقناع الشاه أن يأمر بقتل بهاءالله، وعلى ما يبدو

وكـأن هنـاك درع قدسـي خفي يحيـط بحضـرته فيكسـر أي رمح يوجهونه إليه.

لقـد تحققت الوعـود المـذكورة في جميـع الكتب المقدسـة بخروج حضرة بهاءالله من السجن ونفيه، كما تمت من قبل تلك الوعود بدخوله الى السجن. فأطلق سـراحه وأعلن رسـالته الى ملوك العالم، وقام أتباعه بتبليغ رسالته إلى الملوك وأولي الأمـر في جميع أرجاء المعمـورة. وعلى ضـوء هـذه الأحـداث، تحققت جميـع النبـؤات المـذكورة في الكتب المقدسـة السـابقة بشـكل مذهل.

ليس هنـاك وصـف لهـذه الأحـداث أكـثر روعـة من تلـك الـتي ذكرهـا العهـد القـديم في سـفري أيـوب والمزامـير. لقـد وصـفا سـجن حضـرة بهاءاللـه في الجب ومعاناتـه ونجاتـه والإعلان العالمي لرسالته كأنها خطة دقيقة لرحلة مدروسة.

وصف أيوب في أحد إصحاحاته السجين الـذي سـيلقى بـه في "حفرة" و"توضع" أقدامـه في "مقطـرة" و"يعـاني" الكثـير من "الآلام" لتبليغ رسالته، و"البريء" الـذي ستمسـه "نفحـة الـرب" وسـتكون رسـالته "كاملـة" "المعرفـة" و"الحكمـة" للبشرية.وسيخلص من حبسه وينجـو من مكائـد "أعدائـه" وأنـه سـيأتي "في الظلام" بـ "رؤيـة" وعلم جديـد وأنـه "سـيكلم" الإنسان ليس "مرة" بل "مرتين".

هـذه الرؤيـة العظيمـة تطـابق تمامـا وصـف "السـجين" في مزامـير داود، الـذي سـينجو من "الجب البشـع" وعلى "لسـانه سينطق الرب" بترنيمة جديدة، وسوف يذكر "مجيئه في الكتب" وإنـه لن "يخفي" رسـالته بـل "سـيعلنها لأعظم التجمعـات" في العالم؛ إنه نفس ما ذكره أيوب "أما انا فقد علمت بأن وليي حي والآخر على الأرض يقـوم" لقـد وعـد أيـوب بـأن هـذا الشـخص العظيم "سـوف يـدمر الظـالمين ويهلـك الأمـراء"، كمـا تنبـأ أن "نور" الرب سوف يأتي في اليوم الأخير ويقول (ها أنا هنا).

في 24 مـايو 1844م، اليـوم التـالي لميلاد الـدين البهـائي، أرسـل "صـامويل اف بي مـورس" أول رسـالة تلغـراف من واشنطن الى بلتيمور نصها: (هذا ما صـنع اللـه). ولقـد وصـفت الصحف هذا الحدث بأنه (برق أيوب).

لقد استند المستكشفون لآثار مدينة ميسينا اليونانيـة القديمـة ولطروادة ولمدينة أنكا القديمة على أدلة قليلة، مقارنة بما توفر لنا من أدلة في بحثنا عن الموعـود بهاءاللـه. فـالكنوز الموجـودة في تعاليم حضرة بهاءالله لا يضاهيها شيء في قيمتها.

أنـا لا أعـرفه

الجزء الرابع : أصوات فى الليل

كان حضرة بهاءاللـه دومـا يبعث البهجـة والسـرور في قلـوب مرافقيه خلال الأربعة أشهر الـتي أمضـاها في زنزانتـه المظلمـة ويشـجعهم على الاسـتمرار في ثبـاتهم ويؤكـد لهم أن لا شـئ سيمنع إنتصار هذا الأمر مستقبلا.

كتب حضرة بهاءالله متذكرا تلك الفترة في الجب الأسود:

"لقد حشـرنا سـوية في زنزانـة واحـدة، وأقـدامنا في المقطـــرة وصــــفدت أعناقنـــا في أثقـــل السلاسل... لم يسمح لأي بصيص نور من اخـتراق تلك الزنزانـة الموبـؤة أو ادخـال الـدفء لبرودتهـا القارسة. لقد وُضعنا في صفين وجها لوجه. وقــد ألقينا عليهم بعض الآيات ليرددوها ويتغنوا بها كل ليلة بحماس شديد".

علّم حضرة بهاءالله أتباعه المسـاجين التسـبيح الالهي، فكـان الصف الأول ينشد: (قل الله هو الكافي وهو الذي يكفي من كل شـــئ). ويـــرد عليهم الصـــف الثـــاني: (وعلى اللـــه فليتوكـــل المتوكلون).

كانت أصواتهم مجلجلة في الساعات الأولى من الفجر وصدى تسبيحهم مرتفعا لدرجة أنه يصـعد من أعمـاق الزنزانـة مخترقـا أصداء الميدان ليصل الى مهجع الملك في البلاط الشاهنشـاهي، فتوقظـه وتزعجـه وتقلقـه، لأنـه لم يسـتطع تحديـد ماهيـة هـذه الضوضاء ولا مصـدرها مما دعـاه لارسـال أحـد أفـراد حاشـيته لاستفسـار عنهـا، فقيـل لـه أنهـا أصـوات الـترانيم الـتي يرددهـا بهاءالله ومرافقيه في الجب الأسـود، فبـالرغم من معانـاتهم مـا زال هـؤلاء المجـانين يرتلـون التسـابيح الإلهيـة. عندئـذ اسـتدار منصرفا في صمت، وهو يشـعر بـالقلق بسـبب اخفاقـه في فهم هذه الحماسة في مواجهة الأهوال والتهديد بالموت الذي يعــرف أنها تحيط بهم.

كان الشاه مضطرب في داخله من هذا الحادث، فيا تـرى هـل تمكن من قراءة المستقبل! أما ذلك الجانب الـذي كـانت تصـدر

منـه أصـوات مـرافقي حضـرة بهاءاللـه الثمـالى بمحبـة اللـه، فسيوقّع قلم الله قريباً أمراً يطيح بالسلالة الملكيـة لناصـرالدين شاه وكل ملـوك قاجـار الى الأبـد. وسـيحيا ملـوك فـارس لـيروا التحقق المذهل للنبؤات التي أعلنها حضرة بهاءالله ضدهم.

وبالرغم من المؤامرات التي دبرت للقضـاء على حضـرته، لم يتم العثـور علي أي دليـل يشـير الى تورطـه في الجريمـة الـتي أتهم بها، ممـا أجـبر أعدائـه علي تـدبير مـؤامرة جديـدة للتخلص منه، فاستدعوا شاباً يدعى عباس ساعدهم من قبل في الإرشـاد عن أتباع حضرة الباب في شـوارع طهـران، فقـرروا اسـتخدامه كأداة ضد حضرة بهاءالله.

كـان عبـاس هـذا قـد قابـل حضـرة بهاءاللـه عـدة مـرات في الماضـي، وقـد وعدتـه السـلطات بمكافـأة ماليـة سـخية بعـدما يتمكنوا من مصادرة ممتلكاته، اذا أشار الى بهاءالله فقـط، على أنه هو المتهم. فأخبروه أن كل ما يحتاجوه هو شاهد واحد فقط، وأكـدت والـدة الشـاه وهي حزينـة أنـه أمـر مخـزي بالنسـبة لي كوالدة للشاه أن لا أستطيع أن أوقع بهذا السجين العقاب الــذي يستحقه.

ووعدت الملكـة العجـوز عبـاس، بمكافـأة سـخية إذا اسـتطاع الغدر ببهاءاللـه ليقـع بين يـديها. فـأمرت الشـاب أن يـذهب إلى الجب وينظر في وجه بهاءالله، وقالت لـه إنـك سـترى في ذلـك الوجه من قد يكون قاتل ابني.

اقتيد عباس الى محضر بهاءالله ليس لمرة واحـدة، بـل لعـدة مـرات. وفي كـل مـرة يقابـل فيهـا بهاءاللـه، كـان يقـف أمامـه كالمشلول وهو يحدق في وجهه ويقول: "أنا لا أعرفه". ثم يلتـف ويغـادر المكـان، ولم تسـتطع التهديـدات أو الوعـود أن تفلح في اقناعه.

"فلتأمر بذبح جماعي لأهل تلك القرية"

الجزء الخامس : وزن السلاسل

فشلت كل محاولات أعـداء بهاءاللـه في القضـاء عليـه، إلا أن انتشار التهم التي ألصقت بحضرته والتي علـم بها عامـة النـاس والسفارات الأجنبية كانت تستدعي القيام بعمل ما.

وعندما أدركوا أنه من الصـعب إعدامـه علنـا، لجـأوا الى حيلـة ماكرة، فقرروا دسّ السم له.

بعض ممن هم في السلطة، كانوا يتمنون تملـق والـدة الشـاه كسـباً لرضـاها وربمـا أيضـا للحصـول على مبـالغ ماليـة ضـخمة، فقاموا بتدبير مؤامرة لقتل بهاءالله بسـرّية قبـل أن يتم اخراجـه من السجن، فاستوقفوا الطعام المرسل لحضرته، وخلط بكميـة من السم، ظنوا أنها كافية لقتله. ولكن حتى هذه المحاولة باءت بالفشل.

لقد تـركت محـاولات تسـميمه هـذه آثارهـا على صـحته لعـدة سـنوات، وأصـيب حضـرته بـأمراض شـديدة وآلامـاً مبرحـة في زنزانة ذلك السجن، ولكن آمال أعداءه خابت جميعا.

زار "عبـد البهـاء" الصـبي ذو الثمانيـة سـنوات والـده بهاءاللـه عندما كان مسجونا في "سياه جال"، وقـد روى عن ذلـك اللقـاء قائلا: إن شكل حضرة بهاءالله قد تغير بصـورة مخيفـة وظهـرت على وجهه علامـات الألم والمعانـاة. ويسـترجع عبـد البهـاء ذلـك المشهد الحزين: "كان شـعره ولحيتـه ملبـدتين ورقبتـه متقرحـة متورمة من ضغط وثِقل الأطـواق الحديديـة وجسـده محـني من وزن السلاسـل". لقـد تـرك ذلـك المنظـر في ذاكـرة الصـبي الحساس انطباعا يستحيل نسيانه.

لم تكن تلك إلا بدايـة نصـف قـرن من الاضـطهاد والآلام. ومـا يبدو لنا اليوم غريبا في هذه القصة، أن أعداء بهاءالله لم يوجهوا أي تهمة رسـمية ضـده في أي لحظـة، ولم ينـل حضـرته في أي وقت من الأوقات الفرصة لمحاكمة رسمية. وبالتالي لم يكن كل ما عاناه نتيجة جرم ارتكبه. فالنفي المؤبد والإهانة والسجن كان نتيجة سلطة منفردة وأحكام شخصية من ملكين ديكتاتوريين.

إن قصــة بهاءاللــه تفــرض علينــا الــذهاب بعيــدا عن مجــرد التعاطف الانساني. فبقدر ما تخط تعاليم المظهـر الإلهي طريقـا للمســتقبل، بقــدر مــا ترســم ملامح حياتــه نبــوءة عن مســتقبل البشرية. فما عاناه السيد المسيح سـابقا، رسـم معانـاة شـعوب منطقـة البحـر الأبيض المتوسـط نتيجـة رفض تعاليمـه ورسـالته الداعية للسلام والأخـوّة. فهـل سـيمر ملايين البشـر في القـرن العشرين بنفس المعاناة الـتي مـرّ بهـا حضـرة بهاءاللـه من نفي وذلة وسجن؛ تلك التي حكم بها عليه حكام تلك الشعوب؟

تكمن الإجابة عند أولئك القادة الذين امتلكـوا القـوة الحقيقيـة في العالم خلال القرن التاسـع عشـر، ملـوك وقـادة أعظم دول أوروبا، فرنسا وبريطانيا وروسيا وألمانيا.

إلى هؤلاء الرجال، أظهر حضرته نفسه.

الفصل الثالث

سقوط أول مملكة

ليس الحرية والمساواة والأخاء، بل الفروسية والمشاة والمدفعية

الجزء الأول : الناقوس الأفخـم

قـل يـا ملـك البـاريس نبّئ القسـيس بـأن لا يـدق النــواقيس تاللـــه الحـــق قـــد ظهـــر النـــاقوس الأفخـم"

كـانت هـذه أولى الكلمـات الـتي وجههـا حضـرة بهاءاللـه في رسـالته الى نـابليون الثـالث، امـبراطور فرنسـا. فقـد أخـبر الامبراطور أن الناقوس الأفخم لم يكن إلا نفسه (بهاءالله) وأنـه جاء " ليحي الأكوان من نفحات اسمه الرحمن ليتحد العالم"

هناك سلسلة أحداث متعاقبة غـير عاديـة جـاءت بحضـرته من سجن الجب الأسـود في طهـران إلى القلعـة التركيـة في عكـاء على ساحل البحر الأبيض المتوسط حيث كتب منها رسالته هذه. إن الأكثر عجبا في تفاصـيل هـذه القصـة غـير العاديـة، هي دقـة الأحداث التي تنبأت بها الكتب المقدسة لأديان العالم الثلاثة.

سـنعود فيمـا بعـد لنتأمـل أحـداث مصـير ناصـرالدين شـاه والمملكة الفارسية. وعلى كـل حـال، لم يكن الشـاه أول حـاكم تصله دعوة خاصـة من هـذا السـجين، بـل تلقى نـابليون الثـالث أيضا، أقوى ملوك ذلك العصر، رسالة مماثلة. لذلك علينا العـودة الى الوراء لبضـعة سـنين، لاسـتطلاع ذلـك اللقـاء التـاريخي بين الملك والسجين.

كتب بهاءالله لامبراطور فرنسا ليس لمرة واحدة بل لمــرتين، ورُوي أن نابليون الثالث ألقى بالرسالة الأولى جانبا بكـل غضـب ساخراً من فحواها.

كان نابليون أول حاكم غربي أرسل له السجين إحدى رسـائله التاريخية النافذة، وكـان أول حـاكم جرفتـه تلـك الريـاح العارمـة التي تحدثت عنها تلك الرسائل.

في عام 1844م، كـان أول إعلان للبـاب عن مجيء الموعـود "السجين"، وفي نفس العام تقريبـا، ألهم لـويس نـابليون ليكتب بنفسـه مقالـة عن كيفيـة القضـاء على الفقـر. فبـدى أن الملـك يتوافق وبانسـجام مـع روح تعـاليم سـجين الأرض المقدسـة. إن القضاء على الفقر المـدقع والغنـاء الفـاحش كـان أحـد المبـادئ الرئيسية التي حث السجين ملوك الأرض على تنفيذها.

صرّح نابليون الثالث: "تقدم نحو الأفكار الرئيسية لهذا القـرن، وستتبعك تلك الأفكار وتؤيدك. أما لـو اتجهت عكسـها، فسـتطيح بك". وفي خلال 16 عام، ساق الامـبراطور أمتـه لثلاثـة حـروب، دمرت فرنسا إقتصاديا.

لقد أعطي لويس نابليون الفرصة ليصبح وسيلة لدعم مصـالح الجنس البشري، لكنه لم يتمكن من إبعاد رغباته الخاصـة جانبـا، فتضافر قدره مع ما جاء به السجين مرة تلو الأخرى.

وفي عام 1873م، وهي نفس سنة وفاة لويس نـابليون، نـزل من قلم السجين أعظم كتبه، حيث ناشد فيه مـرة أخـرى ملـوك وحكام الأرض.

في هـذا الكتـاب وجـه السـجين رسـالة خاصـة الى "رؤسـاء وحكام الجمهوريـات في الغـرب". وكـذلك وضـع أسـس مجتمـع منظم يعمّه السلام، كما وصف المؤسسات التي يمكنهـا تحقيـق هـذا الهـدف. ولقـد زعم نـابليون الثـالث أنـه القائـد المتفـاني للوصول إلى هذه الأهداف الخاصة بالعدالة الاجتماعية.

وعن محفزه خلال حياتـه، قـال لـويس نـابليون: "انهـا الأفكـار الخاصــة بــالنواحي الاجتماعيــة والصــناعية والتجاريــة المفيــدة للبشرية". وعندما حاد نابليون الثالث بعيدا عن هذه المبادئ، بدأ سقوطه.

كتب السجين من مدينة القلعة "عكاء":

" يا ملك باريس.. لأنـا بلوناك وجدناك في معزل.. لو كنت صـاحب الكلمـة مـا نبـذت كتـاب اللـه وراء ظهرك. إنا بلوناك به ما وجدناك على ما ادعيت"

لا يوجــد مكــان هنــا لدراســة تفاصــيل العلاقــة بين أفــول الامبراطورية الثانية، وظهـور التعـاليم العالميـة للسـجين. فهـذه

القصـة لا تعـدو أن تقـدم لمحـة من مشـهد ضـئيل من بين تلـك الأحداث التي هزت وأيقظت العالم.

إن خسارتنا لكبيرة لأنهم فشلوا في فعل ذلك.

صرير القلم الأعلي

الجزء الثاني : اللفافة المخبأة

لو أن أحد ما توقع أن لويس نابليون، خليفة نـابليون بونابـارت الأعظم، سيتجرع المـرارة في أولى فتوحاتـه من نقطـة صـغيرة إسمها قلعه عكاء، كان سيعتبر مختل عقليا. مع أن نابليون الأول بنفسه، أقر فيما بعد، أنه لم يهُـزم من قبل الإنجلـيز أو الأتـراك، بل من "حَبة رمل" اسمها عكاء.

وبعد مرور نصف قـرن، أرسـل سـجين ضـعيف عنـد الأتـراك، رسـالة من ذات المكـان "عكـاء"، يتنبـأ فيهـا بـأفول السـلالة النابليونية الحاكمة.ولكن لم يلتفت العالم لتلك الرسالة.

قيل أن بهاءالله فَتنَ وأسَـر كـل من زاره في مدينـة السـجن. في البداية..لم تعر السلطات التركية مثل هـذه الأخبـار اهتمامـا واعتبرتهـا مضـحكة، خاصـة عنـدما أصـبح المعتمـد الفرنسـي المحترم لحكومة لويس نابليون صديقاً مخلصا للسجين المحكوم عليه. ولكن.. عندما بدأ التأثير التدريجي القـوي للسـجين يجتـاح جميـع الـزوار الـذين يحضـرون لزيارتـه، ازدادت الشـكوك لـدى الحراس بكل زائـر، وتم إخضـاعهم للفحص الـدقيق جميعـا، ولم يسمح لأي منهم بحمل الرسائل من أو إلى السجين.

وبالرغم من كل هذه الرقابة المشددة، لم يكن بالامكـان منـع رسالة السجين التاريخية الثانية لنابليون الثالث من عبور أسـوار مدينة السجن.

عندما استعد زائر السـجين لمغـادرة السـجن، وأومـأ للحـرس برأسه موافقاً على تفتيشه بالكلية، لم يعـثروا على شـيء معـه. وبعدما ابتعد عن المكان، ابتسم في نفسه، فلقـد كـان واثقـا أن أيا منهم لن يفكـر في التفـتيش تحت قبعتـه، وسـار في شـوارع عكاء غير مكترث، وهو يحمـل في ذلـك المكـان الخفي، رسـالة بهاءالله التاريخية الثانية لنابليون الثـالث، حيث سـلمت للمعتمـد الفرنسي في عكاء الذي قـام بالترجمـة المناسـبة ورتب الأمـور لتصل بين يدي الإمبراطور.

في تلك اللفافة المخفية تحت غطاء رأس الزائر، تنبأ السجين بمصير كل من الملك والأمة والإمبراطورية والسلالة.

"إذاً تجد نفسـك في خسـران مـبين. إلا أن تقـوم على نصرة هذا الأمر وتتبع الروح"

" ويخرج الملك من كفك جزاء عملك"

الجزء الثالث: يوم الحساب

كان قصر نابليون الثـالث حـديث كـل أوروبـا، ولم يتوقـع أحـد السقوط الدرامي لهذا الملك، كما تنبأ السجين.

إن الاحتفال والمهرجان اللذين أقيما في بلاط نـابليون الثـالث كان محل حسد جيرانه، وقد تملك معاصريه الحسد من إسـرافه غير المبرر، فباخرة لـويس نـابليون وصـلت أعـالي البحـار، وهـو نفسه بالكاد كان يصدق حسن طالعـه الـذي تعـدى كـل أحلامـه، فلقد فُتحت أمامـه كـل الأبـواب الذهبيـة وكـان بوسـعه تأسـيس مملكته التي طالما حلم بها. كانت الدنيا كلها ملك يده.

قال السجين:

" قل يا ملك باريس... انه لجميل بملك الزمان أن يفحص حال أولئك المظلومين وخليق به بـأن يمـد يد عنايته للضعفاء"

كـــان نـــابليون يهتم بالأقويـــاء دون الضـــعفاء، وبالاغنيـــاء دون الفقراء، وبالتالي لم يكن ليهتم بالمساجين الأتراك وفي الحقيقه كان حليفا للأتـراك ضـد قيصـر روسـيا. إن حـرب القِـــرم كـانت للإنتقـام لعمـه نـابليون العظيم. ولم يكن في نيتـه جلب الضـرر لنفسه إرضاء لخاطر حلفاءه الأتراك.

كـانت أعمـال نـابليون تنم عمـا قالـه بوضـوح: "لا تشـغلوني بالأمور التافهة، فالعالم على حافة الهاوية".

لكن عالم نابليون هو الذي كان على حافة الهاوية، فقد خسره بالفعل. إن استمرار أفعاله المزرية، استدعت السجين أن يكتب الرسالة الثانية لإمبراطور فرنسا قائلا:

"قُمْ وَتَدارَكْ ما فاتَ عَنْكَ سَوْفَ تَفْنَى الـدُّنْيا وَمـا عِنْـدَكَ وَيَبْقى المُلْـكُ للـهِ رَبِّكَ وَرَبِّ آبائِكَ الأَوَّلِينَ، لا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقْتَصِـرَ الأُمُـورَ عَلَى مـا تَهْـوَى بِـه هَواكَ.."

وحذره أيضا أنه اذا لم يتدارك ويصحح ما فات عنه في الحال، فسوف ينال أبشع عقاب:

بِمـا فَعَلْتَ تَخْتَلِـفُ الأُمُـورُ فِي مَمْلَكَتِـكَ وَتَخْـرُجُ الْمُلْـكُ مِنْ كَفِّكَ جَـزاءَ عَمَلِـكَ إِذاً تَجِـدُ نَفْسَـكَ فِي خُسْرانٍ مُبِينٍ"

إن يوم الحساب قادم!!

" قد نرى الذله تسعى عن ورائك "

الجزء الرابع : الإنهيـار السريع

كانت هذه بداية النهاية للسـلالة النابليونيـة، لقـد قـام نـابليون الثالث بالتحريض على حرب القِــرم ليشـبع غضـبه الـدفين ضـد الامبراطور الروسي. كان يتـوق لتمزيـق معاهـدة عـام 1815م، لينتقم لكارثة عمه في موسكو.

كـانت أحــد أحلام نــابليون الثــالث الطموحــة، هــو تأســيس امبراطورية له في المكسيك، وكان يتخيل هذه الفكـرة الوهميـة قبــل أن يصــبح إمــبراطورا، فتصــور لنفســه "القســطنطينية الجديدة" على مضيق بنمـا، لتمتـد مملكتـه في كـل من الشـرق والغرب.

قال نابليون أنه سوف يقيم في وسط أمريكا مركـزاً لسـلطته يعود عليـه بـالنفع. ومن العجيب أن بهاءالله وعـده تقريبـا بهـذه المكافأة، إذا ما كرّس نفسه ليكـون سـببا للوحـدة والعدالـة بين كل البشر. فكتب السجين:

> **" قل يا ملك باريس. قم على خدمه اللـه ونصـرة أمره، إنه يؤيدك بجنـود الغيب والشـهادة ويجعلـك سلطانا على ما تطلع الشمس عليها" (أي الشرق والغرب)**

لم يحاول نابليون الثالث مساعدة السـجين أو حـتى الاسـتماع لكلماتـه. وبـاءت المغـامرة الأمريكيـة لنـابليون الثـالث بالفشـل الذريع، ولاقت كل المحاولات التالية نفس المصير.

وفجأة.. ذهبت كـل أمجـاد الأيـام الماضـية، ففي البدايـة هـزم نــابليون كــل من روســيا والنمســا في حــرب القِــرم والحــرب الايطالية. وقد أذهل العالم عندما تفوق على أعتى الجيــوش في كل أوروبا.

ثم أخذ موقف المتفـرج في الحـرب مـا بين النمسـا وبروسـيا عام 1866م، فكانت خطتـه التـدخل مـع الجـانب المناسـب في الوقت المناسب، أي مع الجانب الذي سيمنحه منفعة أكبر.

لكنـه أخطـأ التخمين، فقـد قهـرت بروسـيا النمسـا بسـرعة وبشكل حاسم، فكانت تلـك أولى سلسـلة أخطـاء نـابليون الـتي تتابعت فلازمته حتى تهاوت مكانته.

لقد ذُكر في الانجيل "إن الله سيعاقب الملوك والأمم"، فكـان لويس نابليون على الغالب هو المثل الأنسب لذلك المبدأ الأنفذ، وفي الواقـع أن الأمم والملـوك هم الـذين يعـاقبون أنفسـهم بأيـديهم، فكـانوا يجلبـون لأنفسـهم المعانـاة باتخـاذ القـرارات الخاطئة.

في "يوم الله" هـذا، كلمـا قـام حـاكم بأعمـال ظالمـة لمجـرد ضمان نفوذه وهيبته، أو من أجل ممتلكاته أو لرخـاء شـعبه على حساب بقية الشعوب، فمثل هـذه القـرارات لا تجـني ولا تحصـد سوى البلايا والكوارث، فكلما اتسـع الفـارق بين هـذه القـرارات وبين أساس الشرائع الإلهيـة القائمـة على العـدل، كلمـا عظمت الكوارث وأصبح إنهيار كل من إتخذ تلك القرارات مؤكدا، ومهمـا طالت العملية، فإن النهاية دائما واحدة.

حاول السجين توضيح هذا المبدأ لقادة البشرية، فمهمته كانت تنبيههم لشريعة الله، فـإذا عصـوها فـان العقـاب النـاتج سـيكون نتيجة قـراراتهم الخاطئـة. هكـذا "يعـاقب اللـه الملـوك والأمم"، إنهم يعاقبون أنفسهم.

أعلن القيصر ويلهلم الأول لاحقا، إن حرب 1866م التي اتخـذ خلالهـا نـابليون الثـالث موقـف المحايـد، أدت إلى دمـار فرنسـا، وأوضح أنه كان على نابليون مهاجمة جيوشنا من الخلف.

لقـد فـات الأوان وانتهى زمن الازدهـار، فلم يعـد لنـابليون أي ملجأ سوى الحرب، وبالفعل كـان يغـامر باحتمـال ثـورة وشـيكة الحـدوث في بلاده. وفي عـام 1870م قـاد نـابليون أمتـه الى حرب ضد بروسيا.

أعلن وزير الحربيـة الفرنسـي بفخـر، أن فرنسـا تتوقـع نصـراً كـاملاً وعظيمـاً، لكن التـاريخ يُرينـا كم كـان هـذا الاعلان مثـيرا للشفقة، فقد أصبحت القرارات الخاطئـة من كـل الجـوانب هي العلامة المميزة لنابليون الثالث. فدبت الفوضى في كـل شـيء، الى درجة أن جنود المشـاة او كبـار الضـباط كـانوا يعجـزون عن معرفة مواقعهم، وفي برقية وصلت من الجنرال مايكل في يـوم

21 يوليــو إلى بلفــورد، يقــول فيهــا: "لا أســتطيع العثــور على فرقتي، ولا يمكنني العثور على قسمها الأكـبر، فمـاذا أفعـل؟ لا أعلم أين هــو الجيش." فلوحــظ أنهــا من الوثــائق الفريــدة في التاريخ العسكري.

لقد بدأ تحقق وعد سجين الأرض المقدسة لنابليون الثالث:

"بِمـا فَعَلْتَ تَخْتَلِـفُ الأُمُـورُ فِي مَمْلَكَتِـكَ وَتَخْـرُجُ المُلْـكُ مِنْ كَفِّكَ جَـزاءَ عَمَلِـكَ إِذاً تَجِـدُ نَفْسَـكَ فِي خُسْرانٍ مُبِينٍ"

إنضم نابليون إلى الجيش بنفسه مع ابنــه الأصـغر في محاولـة منه لمنع التمرد بين الجنود. لقد أنهكت قواه الضغوط المحيطــة به، وكانت صحته تتدهور نتيجة صراعه مـع مـرض حصـى الكلى، وكان بالكاد يستطيع البقـاء فـوق ظهـر حصـانه أثنـاء اسـتعراض الجند. وقيل أنه كان يصبغ وجنتيه باللون الأحمر ليخفي مـا بهمـا من شحوب أمام الجنود.

وهكذا.. أصبح نابليون الثالث وجنوده في طي النسيان.

لقد أصـبح المعتمـد الفرنسـي في عكـاء، من أتبـاع السـجين، عندما شاهد تحقق الدمار الذي ورد في النبوءات الـتي قـام هـو بنفسه بترجمتها إلى الفرنسية وسلمها وقتئذ الى نابليون الثالث.

" وأدخلونا في السجن الأعظم بظلم مبين "

الجزء الخامس : تقلّب الأدوار

عندما نستعرض التباين بين حياة بهاءالله ومكانة نابليون الثالث في بداية حكمه، ثم نشهد كم انعكست مراكزهما في النهاية تماما، نبدأ في فهم المغزى الحقيقي للتحذير الذي أرسله السجين للملك عندما قال له:

" أعزك غرك، لعمري إنه لا يدوم وسوف يزول إلا بأن تتمسك بهذا الحبل المتين، قد نرى الذلة تسعى عن ورائك وأنت من الراقدين"

وتبدو الكلمات التي استخدمها عبد البهاء في موضع آخر، ملائمة ومطابقة بخصوص نابليون فرنسا الثالث، حيث تفضل:

" سوف تذهب سلطنتك أدراج الرياح ويحل بك الخراب"

انه لمن الصعب تخيل تناقض أعظم من ذلك الذي وُجد بين نابليون الثالث والسجين. ففي عام 1852م، نصّب لويس نابليون ليصبح نابليون الثالث، امبراطوراً لفرنسا. وفي نفس العام، اعتقل بهاءالله بعيدا في إيران ومشى عدة أميال عاري الرأس حافي القدمين تحت أشعة الشمس الحارقة؛ لقد اقتيد محاطا بصريخ الغوغاء من الأعداء، وفي نفس الساعات التي تُرك فيها بلا طعام ولا شراب، كان نابليون الثالث يتناول عشاءه الفاخر في عاصمة امبراطوريته المتألقة.

في يناير عام 1853م، تزوج نابليون الثالث من "يوجين دي مونتاجو"، الكونتيسة الاسبانية، وقد بدأت حياة الامبراطور بالاستقرار وتربعت عائلته بأمان على عرش فرنسا. وفي نفس ذلك الشهر، اقتلعت جذور السجين من وطنه وسُلبت منه مكانته وثروته ونفي إلى الأبد من وطنه الأصلي.

على ما يبدو، كلما زادت قوة وهيمنة نابليون الثالث، كلما قلّ – في الظاهر- حظ سجين الأرض المقدسة.

لقد نُفي بهاءالله، مثل النبي ابراهيم، ورُجم مثل النبي موسى، وجُلد مثل النبي عيسى، وسجن وكُبل وسُمم ونُفي من

مدينة إلى مدينة، وفي النهاية وصل إلى أبشع سجن تركي، إنهــا قلعة عكـاء الواقعـة في ظـل جبـل الكرمـل، "كـرم اللـه". ومن مدينة السجن تلك أرسل رسالته الثانية إلى امبراطور فرنسا.

منذ تلك اللحظة ومـا بعـدها ورغم الضـربات السـريعة من يـد القدر، نهض السجين وانتشرت تعاليمـه في كـل بقعـة على هـذا الكـوكب، بينمـا كـان الامـبراطور يتهـاوى من القمـة وعظمتـه تُخسف بالكامل.

لن نستطيع معرفة أي أفكار جالت في خـاطر لـويس نـابليون عندما أُسر على يد ملك أجنبي بعد انهزامه في معركـة سـيدان، تُرى هل استرجع تلك الكلمات التي وجهها له سـجين عكـاء ولـو لمـرة واحـدة؟ إنـه إحتمـال بعيـد أن يـدرك أي شـيء من تلـك النهضة الروحية التي أثارت الرأي العام وهـو يسـقط، ومـا كـان بأعمى البصيرة عن تلك الدراما التي هو جزء منها.

" ستنقضي أيام جلوسهم على سرير العزّة "

الجزء السادس : سقوط أول مملكة

إن الرسائل التي تلقاها نابليون الثالث من مدينة السجن "عكاء"، كانت تحتوي على العديد من النبوءات المنذرة. فلقد تنبأ السجين أنه قريبا سيغيّر نصيب وقدر كل الملوك المستبدين، وأن مكانتهم في الحياة ستنقلب بقدرة الله القدير. لم يكن هناك ملك تطابق قدره ومصيره مع تلك الكلمات، أكثر من نابليون فرنسا الثالث:

"أَنْ يَا أَيُّهَا السُّلْطَانُ اسْمَعْ قَوْلَ مَنْ يَنْطِقُ بِالحَقِّ سَتَمْضِي بَلايانا وَاضْطِرارُنا وَالشِّدَّةُ الَّتِي أَحاطَتْنا مِنْ كُلِّ الجِهاتِ وَكَذلِكَ تَمْضِي رَاحَتُهُمْ وَالرَّخاءُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ"

وصف السجين الانقلاب العظيم الذي سيحل بهم قائلا:

"وَسَيُقْضَى سُكُونُنا عَلَى التُّرابِ بِهذِهِ الذِّلَّةِ وَجُلُوسُهُمْ عَلَى سَرِيرِ العِزَّةِ وَيَحْكُمُ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ"

وكتب السجين قائلا:

"يا ملك.. بما فعلت تختلف الأمور في مملكتك وتأخذ الزلازل كل القبائل"

حاصر الألمان باريس، وتلاشت كل مقاومة واستسلمت المدينة، فانصعق الشعب الفرنسي من الإنهيار المهين لجيشهم العظيم وألقوا باللوم على الامبراطور، مما أثار حربا أهلية تبعت الحرب البروسية – الفرنسية، وأطلق على تلك الفترة "السنوات العصيبة"، حيث فاقت في ضراوتها فترة الحرب نفسها، فتركت علامة في ذاكرة الفرنسيين أثّرت على فرنسا إلى هذا اليوم، وعمت الفوضى الأمة بأكملها وعانت من المجاعة والثورة والأوبئة التي قضت على أرواح الآلاف في باريس، مدينة نابليون "مدينة النور".

" قد نرى الذلة تسعى عن ورائك...جزاء عملك.."

أصـبح الامـبراطور أكـثر رجـل مكـروه في فرنسـا، وانطلقت الحشـود في بـاريس تطـالب بالانتقـام منـه ملقين اللـوم عليـه لإذلاله بلادهم، وبالكاد تمكنت الإمبراطورة "أوجينيو" من الفــرار بحياتها، بينما قضي على الملكية تماما.

كــان لنــابليون ولــد واحــد، هــو الأمــير "أوجين لــويس جين جوزيف"، الـذي تلقى تعليمـه في انجلـترا. كـان نـابليون الثـالث يأمــل حــتى بعــد ســقوطه، باســتعادة عــرش آل نــابليون في المسـتقبل مـع ابنـه كـامبراطور؛ وياللرحمـة أنـه لم يعش لـيرى مقتل الأمير بعيدا في حرب الزولو في جنوب أفريقيا بين السود والبيض.

وبالفعل كانت نبوءات السجين لأحد ملوك الأرض رهيبـة جـدا، فمثل هذا التحـذير، ورد أيضـا في الكتـاب المقـدس منـذ قـرون مضت، عندما ذكر إشعيا النـبي في أحـد إصـحاحاته، أنـه سـيأتي اليوم الذي سيتلقى الملوك فيه "عقـابهم"، وحـذر أن الـرب في ذلـك اليـوم، "سـيقلب الارض تحت اقـدامهم رأسـا على عقب"، و"سيفرق بين الأمم"، وسيبطل "تغطرس" المسـتكبرين بسـبب شرهم. وحتى لا يكون هناك خطـأ او التبـاس في فهم المقصـود من كلام إشعيا، كتب السجين بنفسه للملوك قائلا:

"قل إني أنا المذكور بلسان أشـعيا، طـوبى لملـك ما منعه المُلك عن مالكه وأقبل إلى الله بقلبه"

لقد فشل نابليون الثالث في اجتياز الامتحان الالهي، "فسـقط على التراب"، وعانى مما قدّر للملوك في نبوءه أشعيا منـذ أمـد بعيد:

"ويكون في ذلك اليوم أن الرب يطـالب جنـد العلاء في العلاء وملوك الأرض على الأرض".

وسقطت أول مملكة.

الفصل الرابع

رجع إلى التراب بخسران عظيم

الجزء الأول : "رب المعارك"

في 18 يونيو عام 1871م، دخل القيصر ويلهلم الأول، إمبراطور ألمانيا إلى برلين على رأس جيشه المنتصر، فكان يوم فرح عظيم. لقد سُحقت فرنسا نابليون الثالث، وأصبح الإمبراطور بطل قومي وأسطوري في ألمانيا. وبينما كانت الخيول تجلجل محدثة رنين النصر في شوارع برلين، كان القيصر ويلهلم الأول محط أنظار كل العيون، لقد حقق تقريبا كل أحلامه وأصبح بالترتيب أميراً ثم ملكاً والآن إمبراطوراً على ألمانيا المتحدة.

لم يكن هناك أحد ليتحداه، لكن صوتاً واحداً أعلن تحذيره له. فمن مدينة السجن البعيدة، ذكّر بهاءالله القيصر بما حلّ بإمبراطور فرنسا، وحذر ويلهلم بأنه سيواجه نفس المصير الذي لحق بنابيون الثالث، إذا لم يتّبع أوامر الله التي يعرضها على ملوك الأرض، ويكّرس نفسه لخدمة الوحدة والعدل.

أرسل السجين هذه الكلمات إلى ويلهلم الأول:

"يا ملك برلين... أذكر من كان أعظم منك شأنا وأكبر منك مقاما أين هو وما عنده؟

لقد أُعطيت الفرصة للمنتصر لتلبية نداء الله، مثلما أعطيت للمهزوم من قبل، فقد كان الملوك "أوصياء" الله، وإليهم عهدت مسؤولية هذه الثقة.

لقد حذر السجين القيصر ويلهلم الأول من نسيان الدرس الذي أعطي للعالم بالمصير الدرامي الذي حل بنابليون الثالث قائلا:

"يا ملك تفكّر فيه وفي أمثالك الّذين سخّروا البلاد وحكموا على العباد قد انزلهم الرّحمن من القصور الى القبور"

ومع ذلك ظل الإمبراطور مقتنعاً دائماً بأن "بروسيا" هي الأوج الأنسب لكل ألمانيا، وكان يعتقد أن أمراً واحداً سيحقق ذلك،

وهو الجبروت والقوة المتمثلـة في الجيش العظيم. لكن التـاريخ أظهر خلاف ذلك ليثبت له صحة ما قاله السجين.

لم يكن السـجين يشـاور ملـوك الأرض فحسـب، بـل كـان يحذّرهم، ولم يكن ويلهلم الأول قيصـر ألمانيـا مسـتثنى من تلـك الإنذارات:

"يـا ظَلَمـة الأرض، كُفـوا أيـديكم عن الظلم، لأني قد أقسمت ألا أتجاوز عن ظلم أحد"

كـان ويلهلم الأول يقضـي كـل أوقاتـه في الجيش، وقبـل أن يحين وقت اعتلائه العرش، كان يوصف لصرامته "بالعسكري" و "الاستبدادي"، واعترف أنه كان يرى نفسه "رب المعارك". وقـد حذر السجين الإمبراطور:

"يا مَلِكَ بِـرلينَ.. انْتَبِـهْ وَلا تَكُنْ مِنَ الرَّاقِـدِينَ، إِنَّهُ نابليون الثالث نَبَذَ لَوْحَ اللهِ وَرآءهُ لِذَا أَخَذَتْهُ الذِّلَّةُ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ إِلَى أَنْ رَجَعَ إِلَى التُّرَابِ بِخُسْـرانٍ عَظِيمٍ.. يـا مَلِـكُ تَفَكَّرْ فِيـهِ.. اعْتَبِـرْ وَكُنْ مِنَ المُتَذَكِّرِينَ"

"أن اتحدوا يا معشر الملوك به تسكن أرياح الاختلاف بينكم "

الجزء الثاني : صوت الحرب

لم يصغ ويلهلم الأول لتحذيرات سجين عكاء، وبوفاته سلّمت المانيا إلى يديّ حفيده المتهور المتكبر الشاب ويلهلم الثاني. وكان للقيصر الجديد اتجاه معاكس لكل نصائح السجين، وبدلا من جلب الهدوء والسلام للشعب والأمة، زاد من سرعة حركة آلته العسكرية، مما ساق أمته إلى كارثة، وفي النهاية أدى ذلك الى تدمير سلام العالم.

في عام 1898م، زار ويلهلم الثاني الأرض المقدسة، ولم يكن الملك يبعد عن مدينة السجن إلا أميال قليلة، ذات المكان الذي أرسل منه السجين رسائله التاريخية إلى جده والتي أنذر فيها بسقوط السلالة الملكية الألمانية. وخلال تلك الزيارة، قام القيصر بالتحالف مع أشهر مضطهدي السجين، وهو سلطان تركيا. وعندما وصل الأرض المقدسة، قامت السلطات بهدم وتوسعة إحدى بوابات المدينة المقدسة "القدس"، لتناسب التشريف والاحترام اللائق للزيارة الملكية.

كان وصول بهاءالله إلى الأرض المقدسة مختلف تماماً، فلقد حشرت جماعة المنفيين في مركب صغير، وتأخروا لساعات على ساحل مدينة حيفا حتى عبروا الخليج إلى مدينة القلعة "عكاء"، وسار حضرته على قدميه في الشوارع مع استهزاءات أهل المدينة. وأخيرا ألّقي به في سجن القلعة.

حشر 78 سجيناً معه في نفس الحجرة، وحرموا من الطعام والماء، وأصيب أكثرهم بالملاريا والتيفوئيد، ومات بعضهم. كل ذلك بسبب فرمان سلطان تركيا، ذلك العرش الذي أسرف ويلهلم الثاني في مدحه.

وفي أثناء زيارته للقدس، وصف القيصر نفسه بأنه صديق الخليفة التركي السلطان عبد الحميد، ونشر أخبار معاهدته مع تركيا، وكان فخورا بتلك الشراكة الجديدة بين الملوك، وأعلن أن السلطان والقيصر سيتمكنا من الوقوف أمام العالم معا.

كانت مملكة كلا هـذين الصـديقين على وشـك الانهيـار بشـكل مـتزامن، وكـانت سـلالتهما على وشـك الاختفـاء الى الأبـد وفي نفس الوقت. كم كانت كلمات السـجين ملائمـة لـويلهلم الثـاني خلال الأيام التي قضاها في المدينة المقدسة "القدس".

لم يجهد القيصر نفسه في البحث عن "السجين" أو الاستعلام عنه، والحقيقة أنه تجاهل كل ما يتعلق بالسـجين وتعاليمـه الـتي لو طرأت على باله، فلا شـك كـان سـيبعدها باعتبارهـا غـير ذات قيمة. ولم يكن له أي علاقة بالتعصب الديني الجامح بل بالملكية المطلقة. كان ويلهلم يتعامل مع الأمور الأهم مثل الحرب. والتي كان أقرانه الحكام يوافقونه عليها بإخلاص. لقد كان لديهم أمــور أخرى أكثر أهمية من زيارة سجناء.

تحدث كلمات بهاءالله هؤلاء المدّعين، فتفضل قائلا:

" أن يا ملوك المسيحية.. ما اسـتقبلتم إليـه ومـا حضرتم بين يديـه لتسـمعوا آيـات اللـه من لسـانه وتطّلعوا بحكمة اللـه العزيـز الحكيم.. بـذلك منعت نسـمات اللــه عن قلــوبكم ونفحــات اللــه عن فـؤادكم... انتم ومـا عنـدكم سـتفنى.. وتُسـألون عما اكتسبتم"

أن شدة لهجة خطاب بهاءالله أزعجت الملـوك بشـدة، وربمـا تزعجنا وتقلقنا نحن أيضا. فالبشرية عموماً وبصورة أوتوماتيكية، تنزع مبدئيا إلى رفض كل داع يتكلم باسم الله. بل أن حضـارتنا، وبالتحديد قيمنـا الأخلاقيـة، تشـكلت كلهـا بتلـك الطريقـة. فكـان لكلمات بهاءاللـه نفس القـوة والسـلطة الـتي كـان يتحـدث بهـا موسى وعيسى في الماضي

"يجب حماية حقوق ومصالح كل البشر"

الجزء الثالث: السيف المسلول

عبّر ويلهلم الثاني عن حل مشاكل العالم بطريقة تعارض تماما أفكار "السجين" التي تقول:

"أن يا ملوك الأرض.. أصلحوا ذات بينكم وقللوا في العساكر ليقل مصارفكم وتكونن من المستريحين"

كان ويلهلم الثاني في الجهة الأخرى يثير الخلافات مع جيرانه، ويزيد من أسلحته الثقيلة، فألقى في كل يوم عبئا أثقل على شعبه، وقام بشحن أمة متحضرة بأحلام الحرب وإراقة الدماء.

وأعلن السجين قائلا:

"أن يا ملوك الأرض.. وإن ترفعوا الاختلاف بينكم لن تحتاجوا إلى كثرة الجيوش إلا على قدر الذي تحرسون به بلدانكم وممالككم.. اتقوا الله ولا تكونن من المسرفين"

رسّخ ويلهلم الثاني الحرب كمبدأ مقدس لوطنه، ونفر من أي إقتراحات متعلقة بنزع السلاح أو السلام، وسخر من النتائج التي أقرت في مؤتمر السلام في مدينة لاهاي عام 1898. وأعلن صراحة عن ازدرائه لكل تلك المؤتمرات بالكلمات التالية: "أني أثق في الله وفي سيفي المسلول وفي نفسي أكثر من كل قرارات المؤتمرات العالمية".

كانت نصيحة السجين هي الأكثر تعارضا مع هذا الموقف، فقال إن سلام العالم واطمئنانه منوط بقادة البشرية، وعليهم أن يجتمعوا ويتشاوروا بروح وإرادة قوية ويعلوا مهمة السلام فوق كل شئ.. كتب السجين:

"أن تتشبث الدول العظمى بصلح محكم لراحة العالم.. عسى أن يفوز بمشيئة الله الملوك والسلاطين الذين هم مرايا اسم الله العزيز بهذا المقام ويحفظوا العالم من سطوة الظلم."

لقــد كــان الصــدام بين رؤيــة "الســجين" وملــوك ســلالة آل هوهنتسولرن، أمراَ محتوماَ.

" نريد أن تمحى الاختلافات العرقية "

الجزء الرابع : أحد الملوك "ومليك الملوك "

اعتمد القيصر ويلهلم الثاني خلال أيامه الأولى في السلطة على الكياسة والدبلوماسية. وعندما تولى منصب الملك، ناشد السيد المسيح بشغف وتوسل اليه يطلب التأييد الإلهي، وتعهد على نفسه استعادة عرش آبائه والتربع على العرش كملك من ملوك الصولجان.

تجاهل ويلهلم الثاني كل النصائح، وازدرى جميع التحذيرات، كما فعل جده ذلك من قبل. كان كمن يعرف ما هو دوره، فلم يكن بحاجة إلى نصائح الآخرين ليخبروه أن ألمانيا يجب أن تكون الأسمى.

في المقابل، نصح السجين الحكام بطريقة أخرى:

" أن يا أيها الملوك.. إن الله قد أودع زمام الخلق بأيديكم لتحكموا بينهم بالحق وتأخذوا حق المظلوم عن هؤلاء الظالمين وإن لن تفعلوا بما أمرتم في كتاب الله لن يذكر أسماؤكم عنده بالعدل وإن هذا لغبن عظيم"

أن النصائح الحكيمة وكلمات التحذير، لم تحرك القيصر ويلهلم الثاني مهما كان مصدرها أو من هو القائل. فلقد قال مخاطبا شعبه: "أتقدم دون اعتبار للأحداث والآراء من حولي".

كان لدى ويلهلم الثاني رغبة عارمة للسيطرة الفردية، لدرجة أنه لم يعد يحتمل مشاركة القرارات مع رئيس وزرائه الشهير "أتوفون بسمارك". وفي مارس عام 1890، وبعد الأزمة المريرة، دفع بسمارك الى الاستقالة، وابتهج جدا لأنه أصبح أخيرا الحاكم المنفرد. واستشهادا لما قاله سابقا، فهو "سيد الأمور الكبيرة والصغيرة".

في نفس العام 1890، في وادي عكاء في الأرض المقدسة، الوادي الذي وصفه النبي هوشع بأنه "باب الأمل" للبشرية. وصل المستشرق البريطاني الشهير إدوارد جرانفيل براون من كلية كامبردج لزيارة "السجين"، وخلال المقابلة تكلم "السجين" عن "الحروب المدّمرة" التي يفكر فيها القيصر وتكلم عن

"المشـاحنات العقيمـة" الـتي انتشـرت كالطـاعون في أوروبـا والعالم. فقال:

"إنا نرى ملوككم وحكامكم ينفقون خزائنهم على وسائل تـدمير الجنس البشـري، بـدلا من إنفاقهـا على ما يؤدي إلى سعادته."

لا يمكن أن يكـون هنـاك تحـدي أعظم لأفكـار القيصـر ويلهلم الثـاني ممـا نجـده في الكلمـات الـتي نطـق بهـا "السـجين"، للبروفيسور براون في تلك المناسبة:

"ليس الفخـــر لحبكم أنفســكم بـــل لحب أبنـــاء جنسكم. وليس الفضل لمن يحب الوطن بــل لمن يحب العالم"

وبينما كان القيصر يدبر مكيدة لاحتلال أراضى جيرانـه بـالقوة، كـان السـجين يعيـد تأكيـد كلماتـه عن الوحـدة والسـلام، فـأخبر بروفيسور براون:

"جئت لــترى مســجونا ومنفيــا.. نحن لا نريـــد إلا إصــلاح العــالم وســعادة الأمم، وهم مـــع ذلـــك، يعتبروننا مثـيرين للفتنـة والعصـيان، ومسـتحقين للحبس والنفي.. فأي ضـرر أن يتحـد العـالم على دين واحد وأن يكون الجميع إخوانـا، وأن تسـتحكم روابط المحبة والاتحاد بين بني البشر، وأن تـزول الاختلافات الدينية وتمحى الاختلافـات العرقيـة؟.. ولا بــد من حصـول هـذا كلـه، فستنقضـي هـذه الحروب المدمرة والمشاحنات العقيمـة، وسـيأتي "الصلح الأعظم".. ألسـتم تحتـاجون إلى ذلـك في أوروبا أيضا؟".

في أوروبـــا وفي نفس العـــام 1890م، ابتهج قيصـــر ألمانيـــا ويلهلم الثاني لسـقوط مستشـاره بسـمارك، فلم يعـد هنـاك أي مـراقب عليـه، وأعلن مبتهجـا "سـيبقى الهـدف كمـا كـان.. إلى الأمام".

الجزء الخامس: كوارث متتابعة

كانت سلسلة من الكوارث.

كان المصير الذي تنبأ به "السجين" لجميع الملوك الظالمين، يسارع ليشمل آل هوهنتسولرن الملكية الألمانية بأكملها. ففي البداية، ضرب ذلك الامبراطور الذي كتب له "السجين" أول إنذاراته الرهيبة. ولاحقا، أطاح بخليفته القيصر ويلهلم الثاني ومحيت سلطتهم للأبد.

تعرض ويلهلم الأول، لثلاث محاولات اغتيال في حياته، وبالرغم من نجاته، عاش في خوف دائم خشية تكرار المحاولة، وفقد راحة البال حتى وفاته. وعلى كل حال، كان عليه تحمل إثم تلك المصيبة التي أطاحت به وبسلالته. إنه لمن السذاجة بالطبع أن نلوم القيصر وحده على قيام الحرب العالمية الأولى، فلم يكن إلا واحداً من العديدين الذين شاركوا في الأسباب. لكنه لم يكن هناك على كل حال، شك في أنها الحرب التي كان يتطلع إليها، والتي خطط لاستعجالها بكل الطرق الممكنة. كانت ألمانيا بدفع منه، تستعرض للعالم باستمرار "عضلات جيوشها الضخمة"، إلى أن ضربتها العاصفة الأولى في النهاية.

كانت انتصارات جيوش القيصر القوية على جميع الجبهات. واتضح أن انتصاراته المبكرة شملت جميع خصومه. وبدا أن ليس هناك أدنى شك أن ألمانيا ستنال انتصاراً سريعاً ساحقاً.

انتشرت أخبار تلك الانتصارات الهائلة حول العالم، ولاقت النجاحات المبهرة السهلة لجيوش القيصر وقصص انتصارات ألمانيا القوية، ترحيباً كبيراً في مناطق معينة في إيران موطن "السجين"، مما أدى الى السخرية من نبوءات رسالته التي ذكر فيها:

" يا شواطئ نهر الراين، قد رأيناك مغطاة بالدماء بما سُل عليك سيوف الجزاء ولك مرة أخرى""

فلقد أنذر السجين امبراطور ألمانيا من المصير الذي سيلحق بأمته وعاصمته إذا اتبع ذات السلوك الطائش الذي اتبعه نابليون الثالث وأدى إلى "سقوطه".

ومن نصائح تلك الرسالة وإنذاراتها:

" يا ملك تفكّر.. أعتبر وكن من المتذكرين.. نسمع حنين البرلين، ولو أنها اليوم على عزّ مبين"

من الممكن أن تقابـل نبـؤات السـجين عن ألمانيـا، من قبـل القيصر والعالم بقليل من الاهتمـام؛ إلا أن أعدائـه في إيـران لم ينسوها، فلقد كانت تلك ساعة ابتهـاجهم، حينمـا انتشـرت أخبـار انتصارات ألمانيا فيمـا بينهم كانتشـار النـار في الهشـيم، وكـانت كافية لتهكمهم باستمرار: "ثبت أن نبوءة بهاءاللـه العظيمـة عن ألمانيا.. أكاذيب".

أين حنين البرلين؟

هل تغطت شواطئ نهر الراين بالدماء؟

هل صُدّت ألمانيا حتى ولو لثانية؟

بقي أتبـاع "السـجين" صـامتين! فمـاذا عسـاهم أن يقولـوا وجيـوش ألمانيـا في تقـدم سـاحق؟ فكلمـات السـجين المنـذرة لألمانيا، ما زالت غير متحققة. ونهر الراين لم يشهد أيـة مـذابح. بل على العكس، كانت برلين في "عز مبين".

كانت أحوال ألمانيا على عكس ما تنبأ به "السجين" بالضـبط، فلقد اكتسح القيصر الجميع من أمامه، وفي العديد من الجبهـات كان جيشه الجبار يعتبر الجيش الذي لا يقهر.

أصـبحت القيـادة العليـا للفـرق العسـكرية المدربـة الضـخمة لألمانيـا بلاءً على أوروبـا؛ فتحت شـعار (اللـه معنـا)، ابعـدوا كـل معارضة، فأسعدوا حلفـاءهم وأرعبـوا أعـدائهم، وكـانوا يطلقـون النكات عن نبؤات "السجين".

لقد ظهر بالفعل أن الله مع القيصر!

"أُقـتلعت أسنان النمـر وطرد إلى الأبد"

الجزء السادس: الخروج المشين

أثبتت الأحداث المأساوية التي خلفت الانتصارات المبكـرة، أن كلمات السجين لم تكن نبـوءه لا قيمـة لهـا. فسـيرى قريبـا كـل "من لــه عين تــرى"، التحقــق الرائــع لكــل بيــان من بياناتــه. فالعواقب التي جاءت متأخرة، كانت جميعها أشد قســوة. فكتب السجين لكل أولئـك الـذين شـككوا في قـدرة اللـه على تحقيـق إرادته:

"هـل تظن بأنـك تعجـزه في شـيء أو تمنعـه عن حكمه وسلطانه أو يقدر أن يقوم مع أمره كل من في الســموات والأرضــين لا فونفســه الحــق لا يُعجزه شيء عما خلق"

وسريعاً تحققت تلك الكلمات. فالحرب التي بدأت بشكل مثير لصــالح ألمانيــا، تــدهورت فجــأة على جميــع الجبهــات. وتــوالت الانكسارات الكارثية المفاجئة بسرعة، حتى شملت كـل جيـوش القيصـر. وفي النهايـة، خسـرت ألمانيـا الحـرب فجـأة. وحطمت الشروط القاسية لمعاهـدة الاستسـلام حيـاة الشـعب الألمـاني، وتلاشــت آمــال مســتقبلهم، وسُــمع "حــنين الــبرلين" من جميــع الجهات.

وفي إيران.. ندم أعداء "السجين" بمرارة عند انتباههم لتحقق كلمات نبؤاته عن مصير ألمانيا الثقيل. بل أن الوعـد الإلهي كـان أكثر بعدا وشمولاً من "حنين البرلين"، عنـدما أشـار الى ضـفاف نهر الراين:

" يا شواطئ نهر الراين قد رأيناك مغطاة بالدماء بما سُل عليك سيوف الجزاء، ولك مرة أخرى"

فبسبب سياســة الجيش العدوانيــة، عــانت ألمانيــا ليس لمــرة واحــدة، بــل لمــرتين، وســحقت في كلا الحــربين العــالميتين. ولمرتين كانت شواطئ نهر الـراين "مغطـاة بالـدماء". ولكـرتين سُمع "حنين البرلين" حول العالم. وقاست الأمة الألمانيـة "مـرة أخرى"، عندما انسلت ضدها "سيوف الجزاء" وقصـفت بالقنابـل عنـدما هـاجمت أمم العـالم الإمبراطوريـة النازيـة لأدولـف هتلـر

ودمرتها وساوت بالأرض كثير من أجزائها. ولسخرية القدر، أسـر أمـير آل هوهنتسـولرن الألمـاني "وليم"، من قبـل الفرنسـيين، وكان يخدم في فرقة الموتيسكلات العسكرية النازية. وظهر بين الأسرى أيضـا "أوجسـت ويلهلم" أصـغر أبنـاء ويلهلم الثـاني في صفوف النازيين، وسقط معهم!.

في 11 نوفمـبر 1918م، أعلنت عنـاوين الصـحف في بـرلين خبر (تنازل القيصر عن العرش).

لم يتم إبلاغ الإمـبراطور المشـدوه المكـتئب بالهدنـة. فقبـل الهدنة بيوم واحد، في يوم الأحـد 10 نوفمـبر، فـرّ ويلهلم الثـاني بطريقة مهينة إلى هولندا في قطار كان ينزلق خلسة في ضباب الصباح الباكر مبتعدا عن محطـة "سـبا". ثم تم توصـيله بسـيارة الى الحدود الألمانية.

وعلى الحـدود.. خضـع لموقـف مخـزي آخـر بعـد استسـلام جيوشه، فلقد كان عليه تسليم سيفه لضابط الجمارك الهولنـدي قبل عبوره الحدود.

لقد قلعت أسنان النمر، وطرد من بلاده الى الأبد.

تماما كما نفي السجين!

وذكر المؤرخ تايلور: (على مدى التاريخ.. لم يكن هنـاك رحيـل أكثر مأساوية ومهانة من هذا، وزاد ذلك، الطريقـة المهينـة الـتي خرج بها).

"سأدمر الملك والأمراء"

الجزء السابع: سقوط المملكة الثانية

انتهت السلالة الملكية الألمانية، وتلاشى معها العديد من ملوكها وأمرائها. فقبل 15 نوفمبر 1918، تنازل أمراء جميع الولايات الألمانية، ومعهم سلسلة من العروش الأخرى الموالية لهم، واستبعد الملك كلياً، وولي العهد وجميع الأمراء الملكيين الأقل رتبة، وجردوا من مناصبهم الشرفية تماما، وسقطت عائلة نبلاء هوهنتسولرن الألمانية إلى التراب. وفي 28 نوفمبر 1918، أعلن النعي الرسمي لوفاتها، عندما وقع ويلهلم الثاني على المرسوم الرسمي لتنازله عن العرش الذي أنهى حكمه كملك بروسي وإمبراطور ألماني.

أنهت تلك الوثيقة حكم مائتي وخمسين عاما من ظلم سلالة آل هوهنتسولرن الألمانية القوية. وأبعد الدستور الملكية الألمانية الى الأبد. وحملت معها الى طي النسيان كل الأمراء الملكيين، وشتت الى الأبد كل الملوك التابعين للولايات الألمانية ومن بصحبتهم من الأمراء المرافقين لهم.

أما رجال الدين حول العالم، فشاهدوا في تلك الأحداث العنيفة، تحقق نبؤات الكتاب المقدس. لكن الحقيقة.. كانت أبعد ما يكون عن أي فهم أدركوه. فنبوءة أرميا النبي تحدثت عن آخر الأيام: (وأضع كرسيي في عيلام "إيران"، وأبيد من هناك الملك والرؤساء)، أشارت بطريقة خفية الى "السجين" القادم من عيلام (إيران)، الذي قدّم بالفعل الأوامر التي برفضها أدت الى دمار ملوك وأمراء اثنين من أعظم الأمم. إن قصة بهاءالله بتمامها، متأصلة بعمق في الكتب المقدسة لكل الديانات العظيمة. إن المصير المحتوم للممالك الأخرى التي وجه لها بهاءالله مناشداته، سوف تتحقق بشكل وعود وتحذيرات أكثر روعة.

في ألمانيا.. سقطت المملكة الثانية..!

الفصل الخامس

سقوط المملكة الثالثة

" لقد نصرني أحد سفرائك "

الجزء الأول : القيصر المحرر

لا يحتوي فصل آخر في قصة "السجين والملوك" على أحداث تقليدية تراجيدية، كالفصل الذي يهتم بروسيا وملكها البائس نيقولا الكسندر الثاني.

أنه لمن الصعوبة بمكان، الشعور بالشفقة على إمبراطور فرنسا المتكبر التافه. ومن المستحيل الشعور بها كذلك تجاه سلالة القياصرة الألمان الذين لعبت عجرفتهم دورا كبيرا في جرّ الجنس البشري إلى أهوال الحرب العالمية الأولى.

أما على الجانب الآخر، فليس من الصعب الشعور بالشفقة تجاه رجل قاده جُبنه وضعفه إلى أخطاء مميتة؛ نعم.. قد ينتابنا جميعا نفس شعور التردد والضعف في مناسبات مماثلة، لكن أولئك الذين يعتلون مناصب ذات أهمية عظيمة وقوية ويستفيدون من منافعها، عليهم تقبل التزاماتها أيضا، وإلا.. فالبديل الوحيد أمامهم هو التنازل عن المنصب والانسحاب إلى دور أقل مكانة في إدارة شؤون الناس.

يعتبر نيقولا الكسندر الثاني شخصا بارزا من عدة نواحي، وقيصرا استثنائيا فريدا بدون شك. ومع بعض الاستثناءات، نجد أن أجداده كانوا أقوياء قساة مستبدين يحكمون أملاكهم الواسعة بقبضة من حديد، وأكثرهم شهرة هو القيصر بطرس العظيم الذي قَتل ابنه، والآخر هو "إيفان الرهيب" سيئ السمعة الذي كان يعلّق أعداءه بدقهم أحياء على أسوار الكرملين.

عائلة مثل هذه، لها هذا التاريخ سيء السمعة، سبب لالسكندر كراهية بين الشعب، رغم أن طبيعته كانت جيدة في الأساس، فلقد كان رحيما يكره المعاناة. وأبعد من ذلك، كان على خلاف باقي أفراد عائلة رومانوف، حيث تلقى تعليمه على يد مدّرس فرنسي خاص. ونتيجة لذلك، فقد تبنى عدة أفكار تقدمية متحررة جداً. فكان تنصيبه يعتبر في نظر الكثيرين كفجر يوم جديد.

كانت أعظم مشكلة اجتماعية عند الروس، هي عبودية أولئك الذين يكدحون ببؤس وشقاء في ممتلكات اللوردات العِظام، وثاني أعظم مشكلة ملّحة كانت الإفتقار لحكومة ديموقراطية قبل كل شئ.

كان الكسندر معروفا بتأييده للإصلاحات الشاملة في كلا المجالين. ففي بداية سلطته، أدهش العالم نسبيا وأقلق الأرستقراطيين بإلغاء العبودية في كل مكان في روسيا. حدث ذلك حتى قبل 4 سنوات من قيام الولايات المتحدة بإلغاء المؤسسة الأكثر سوءاً للعبيد الزنوج! وأتبع هذا القرار التقدمي، بقرارات أخرى أعدت للشروع في توزيع تدريجي عادل للأراضي بين الفلاحين ليمتلكوا مزارع خاصة بهم حتى يمكنهم التصويت في الحكومة. لقد بدى أن علامات "الألفية" تأخذ طريقها الى روسيا. ولقد نودي بالكسندر على أنه "القيصر المحرر".

هذا الامبراطور المميز، هو الذي خاطبه بهاءالله بأكثر نداءاته عطفاً وتأثيراً في المشاعر. فلقد أبدت الحكومة الروسية قبل عدة سنوات جهداَ جيداً، عندما تدخل سفيرها مباشرة، وخاطب المحكمة صراحة شاجباً الاتهامات الموجهة ضد بهاءالله، وليصفها بـ "الكذبة السخيفة". كان أهم شخصية أجنبية بارزة في طهران تدخلت لمصلحة السجين المضطهد من قبل ناصرالدين شاه.

وفيما بعد عند إطلاق سراح بهاءالله ونفيه، رافق ضابط روسي مجموعة المنفيين إلى أبعد نقطة على التراب الإيراني حتى الحدود التركية. ومن دون شك كان لهذا التدخل تأثيرا مريحا ومساعدة لمجموعة المنفيين الصغيرة.

تنبأ بهاءالله بمنزلة عظيمة للقيصر إذا تبنى ذات النهج الذي يدعو له وحاول مساعدة الجنس البشري، موجهاً اليه هذه الكلمات المباشرة:

> **" قد نصرني أحد سفرائك إذ كنت في السجن [في إيران] تحت السلاسل والأغلال، بذلك كتب الله لك مقاما لم يحط به علم أحد"**

وليساعده الله في الحصول على مثل هذا المقام الرفيع، كان على القيصر بذل الجهد في توجيه قلوب البشر الى الله، وإطلاع

العالم برسالة الوحدة والعدالة الـتي أتى بهـا بهاءاللـه. فأكـد لـه قائلا:

"إن ربـك لهـو المقتـدر على مـا يشـاء يعطي من يشاء ما يشاء"

فهل ينصت القيصر المنقذ؟

" لتعرف صبري واصطباري"

الجزء الثاني : استمعوا للنداء

حث بهاءاللـه الكسـندر الثـاني أن يتـولى القيـادة في إبـراز الأخلاق ومعايير القيم الفاضلة للناس، فتفضل قائلا:

"أن يـا ملـك الـروس. قم بين النـاس بهـذا الأمـر المبرم ثم ادع الأمم إلى الله"

وأخبره أنه لا يوجد مأمن لأحـد في هـذا اليـوم إلا بحفـظ اللـه قائلا:

"إن ربـك يحفـظ من يشـاء ولـو يكـون في قطب البحـــر أو في فم الثعبــــان أو تحت ســـــيوف الظالمين"

وفي نفس تلك الرسالة قال بهاءالله، انه سمع أمنيات القيصر التي رددها في سرّ قلبه أثناء صـلاته، ووعـده بتحقيـق أمانيـه إذا بقي مخلصاً حقيقياً لأمانة مُلكه. وأوضح:

"إنا سمعنا ما ناديت به مولاك في نجواك لذا هـاج عَرف عنايتي وماج بحر رحمتي وأجبناك بالحق"

وبالمثل.. قبل حوالي ألفي عـام، تلقى الامـبراطور تيبـيريوس وعدا من المسيح، على أنه إذا آمن برسـالته وأعلنهـا، فسيصـبح موضع حسـد الماضـي والحاضـر والمسـتقبل. وهـو وعـد مماثـل أيضا للعرض الذي قدمه بهاءالله لنـابليون ورفضـه، فسـقط من مكانته العالية.

في هذه اللحظات.. كان القيصر نيقـولا الكسـندر الثـاني على أعتـاب عظمـة فريـدة في تـاريخ الملـوك المـدوّن، وكـان من الممكن مشاهدة تأثير تأييدات رسـول إلهي على تصـرفاته. فلم يكن بحاجة لأكثر من مدّ يده لمساعدة "الموعود"، الذي بقدومه تمجدت صفحات الكتاب المقدس الخاص بالقيصر نفسه.

آملاً أن يدرك الملك هذا ولا يفقد فرصته الذهبية، كرر بهاءالله نداءه قائلا:

"أن استمع ندائي مـرة أخـرى من شـطر سـجني. لتعرف صبري واصطباري"

تنبأ بهاءالله بمركز رائـع للقيصـر، ولم يكن على الملـك إلا أن يخطو خطوة واحدة لتصبح حقيقة. كتب بهاءالله:

"أن يا ملك الروس وعمري لو تعـرف مـا نـزل من قلمي وتطلـع بخـزائن أمـري. لتفـدي نفسـك في سبيلي حبـا لأسـمي وشـوقا الى ملكـوتي العزيـز المـنيع. طـوبى لملـك مـا منعـه المُلـك عن مالكـه وأقبل إلى الله بقلبه"

من دون شك، كان الكسندر بحاجة لمثـل هـذا التشـجيع، فقـد غمرته اصلاحاته في المشاكل، فمن جهة عارض سياســته النبلاء ورجال الدين بعنف لأنهـا سـتكلفهم ممتلكـاتهم وأراضـيهم، ممـا دفعهم لمحاولة إيذائه بأي طريقة ممكنة. ومن جهه أخـرى ظهـر جيل جديد من الثوريين الواثقين من فشل القيصر، من الــذين لا يؤمنون إلا بالإرهاب. فهم يرون أنه لا سبيل أمامه لتطوير جموع الفلاحين الأمـيين المؤمـنين بالخرافـات من الـداعمين لعرشـه. فـــرغم حب الفلاحين للقيصـــر، لكنهم جهلاء غـــير منظمين. فانتظروا اللحظة التي يستطيعوا فيها اطلاق ثورة وطنية.

أصبح الكسـندر يائسـاً، فالمجموعـة القويـة الـتي كـان يعتمـد عليهـــا من بعض المفكـــرين في الحكومـــة ومن المتعلمين في المدارس، وجـدوا في الأحـوال السـائدة فرصـة لـدعم سـمعتهم الشخصية، مما تسبب في تنازعهم على النفوذ والمراكز.

أدرك القيصر أن برنامجه بـني على رمـال متحركـة. فمن أين له العثور على قوى روحانية وأخلاقية يمكنها تعبئة جموع الشعب الروســي المتــدين وفــق أســس إجتماعيــة جديــدة، بينمــا دين الكنيسة الارثودوكسية لم يكن سوى مجموعة طقــوس مكســوّة بالخرافات، فلا علاقــة بين برنــامج الاصـلاح الاجتمـاعي والنظـام الديني القائم، بينما القوة الوحيدة الـتي يمكنهـا تحريـك الملايين الروسية هو الدين.

لا توجد في التاريخ، قصة تراجيدية وساخرة في نفس الوقت، أكثر من هذه. ففي هذا الوقت بالذات كـانت الحاجـة ملحـة إلى سلطة روحانية لتغيير الحيـاة الاجتماعيـة، ولقـد منحهـا اللـه في وقتها. ففي الـديانات السـابقة، كـان اللـه يكلم البشـر من خلال أفراد يرسلهم. أما الآن، فالله يكلم الأمم والطبقـات الاقتصـادية

والمجموعات العرقية والمؤسسات، ويتحدث عن المشاكل التي تهز العالم بالتحديد، من خلال بهاءالله.

وباعتباره أكثر شخص موثوق بين عموم العائلات الروسية والكنيسة، فمن الصعب تخيل الأثر الهائل الذي كان سيحدثه القيصر "الأب الصغير للأمة"، لو أعلن عن عودة المسيح وافتتاحه مملكة الوحدة والعدل الإلهي. لا شيء كان سيقف في طريقة. لكنه تردد وتذبذب، ثم قرر تجاهل رسالة سجين عكاء والرضوخ لضغوط النبلاء. لقد دُفع بقوة داخل التيار، والآن يترنح بخوف عائدا الى شاطئه المعهود.

فدوت كلمات بهاءالله في أذنه:

"لو تتطلّع بخزائن أمري لتفدي نفسك في سبيلي حباً لأسمي وشوقاً الى ملكوتي العزيز المنيع"

" رجفة عظيمة سرت في أسس البلاد وهزت كيانها هزاً "

الجزء الثالث: سقوط المملكة الثالثة

وكما سقطت عائلة نابليون والسلالة الألمانية، سقطت عائلة رومانوف، وبدأ قدرهم يهبط بانحدار سريع حتى الحرب العالمية الأولى، حينما نهضت البلشفية خلال ذلك الفوران المتّقد لتهز عرش القياصرة وتقضي عليه. استسلمت آخر سنوات حكم الكسندر الثاني للإرهاب والعنف غير المسبوق، فتراجع الكسندر عن سياساته الليبرالية وتولى برنامجا قمعيا، فأستلمه من بعده ورثته المستبدين الإثنان وتوسعوا فيه. لقد عاش القيصر في خوف على حياته، فالحياة نفسها أصبحت محنة يومية، ولم يغادر القصر إلا تحت حراسة مشددة، وكان يفضل الا يغادره بتاتاً. وكان يأمر بتفتيش محل إقامته بحرص كل ليلة قبل ان يهجع للنوم، وذلك لخوفه من وجود قتلة مختفين.

واخيرا جاء اليوم المشؤوم.. ففي 13 مارس عام 1881، وبينما هو يمتطي عربته على امتداد أحد الشوارع الرئيسة لسانت بطرسبرغ بالقرب من القصر الشتوي، انفجرت في طريقه سلسلة من القنابل، فانقلبت عربته وحطمها الانفجار. لكن الكسندر لم يمت، وعندما قام ليعرف قاتله، ألقى قاتل آخر بقنبلة أخرى أمام أقدامه مباشرة، فمات في غرفته في القصر الملكي بعد ساعات قليلة.

أما القيصر التالي من عائلة رومانوف، فكان الكسندر الثالث الذي كان نسخة أكثر استبدادية؛ وكان وريثه نيكولاس الثاني من بعده آخر القياصرة، بنفس الصرامة، ويا للحسرة.. فلم يستطع عمل شيء.

ان السخط الذي كان ينمو بين عامة الجماهير أصبح الآن ثورة منظمة، فكلا المثقفين والفلاحين نهضوا ضد القيصر، وأخيرا انفجر سخطهم في خِضم الحرب العالمية الأولى.

اجتاحت نيران الثورة كل البلاد، كانت فريدة في التاريخ الحديث، حيث تحدّت مبادىء كل العصور القديمة وأغلقت المؤسسات القديمة المتمتعة بالسيادة منذ القِدم ونشرت

الفوضى والدمار والموت في كل جانب. ولقد وصف حضرة شوقي أفندي، موت سلالة رومانوف بهذه الكلمات:

"سرت في أسس تلك البلاد رجفة عظيمة هزت كيانها هزاً"

انطفأ نور الدين، وجرفت بعيداً جميع المؤسسات الكنسية لكل الطوائف ولم يعد لها وجود يُذكر، وقيّد دين الدولة ثم اضطهد ثم ألغي نهائياً، وغابت الامبراطورية العظيمة في طيّ النسيان.

يتفضل حضرة شوقي أفندي: "تجزأت الامبراطورية المترامية الأطراف ونفت طبقة العمال العسكرية الظافرة المفكرين ونهبت طبقة النبلاء وقتلتهم واختزلت الحرب الأهلية والأوبئة السكان الذين كانوا من قبل واقعين بين براثن الكرب واليأس وأخيراَ انجرف عاهل هذه البلاد القوية هو وزوجته وأسرته وآله في تيار هذا الانقلاب العظيم وهلكوا"

وهذا ما جلب نهاية نسل ملوك حكموا روسيا لمدة 300 عام، وهؤلاء أيضاً أداروا آذانهم الصماء لكلمات رسول الله:

"أن اسمعوا ما ينصحكم به القلم الأعلى لعلّ تستريح به أنفسكم ثم الفقراء والمساكين. نسأل الله بأن يؤيد الملوك على الصلح .. إياكم أن تدعوا ما نصحكم به من لدن عليم أمين"

انهارت عائلة رومانوف ووصلت نهايتها، السلالة التي كان نيقولا الكسندر الثاني فخورا بها جداً، فالقياصرة لم "يقوموا بكف أيدي الظالمين" ولم "يحموا حقوق المظلومين"، وبوقوع تلك الكارثة، فإن كل نبوءة من نبوءات بهاءالله التي عبّر فيها عن مصير الملوك الظالمين قد تحققت.

عندما نعود بالنظر للوراء لتلك الحقبة التاريخية المحزنة والى عجز الدين الذي كان يحركها، تبدو كلمات بهاءالله لالكسندر الثاني ومن خلاله الى حكومة روسيا صائبة وفي محلها:

"إياك أن يحجبك هواك عن التوجه الى وجه ربك .. إياك أن تبدل هذا المقام العظيم .. إياك أن يمنعك الملك عن المالك"

وكم هو واضح تطابق كلمات العهد القديم المذكورة في سفر حجي المتعلقة بهذا اليوم مع مأساة عائلة رومانوف والتعساء الذين تبعوها:

"وأزلزل كل الأمم. ويأتي مشتهى كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجداً، قال رب الجنود.. وأقلب كرسي الممالك.. وأقلب المركبات والراكبين فيها"

.. وسقطت المملكة الثالثة..

الفصل السادس

المملكة الرابعة تسقط

" وجدناك متمسكاً بالفرع غافلاً عن الأصل"

الجـزء الأول : نهايـة الإمبراطوريـة الرومانيـة المقدسة

"من المسـتحيل تصـوّر أي شـخص، تفسـخ الإمبراطوريـة النمسـاوية واختفائهـا تمامـاً من على وجـه الأرض؛ فلابـد من وجودها طالما أوروبا نفسها موجودة".

هذا بالتأكيد سيكون رأي أي مدقق في أحوال أوروبا خلال تلك الأيـام الـتي أرسـل فيهـا حضـرة بهاءاللـه رسـالته إلى فرانسـوا جوزيـف، الملـك الإمـبراطور المسـتبد للمملكـة النمسـاوية والمجرية. "إنها ستتلاشى مثل الضباب قبل شروق الشمس".

من ذا الـذي يسـتطيع تصـديق مثـل هـذا عن الأمبراطوريـة الرومانية المقدسة؟ لقد عانت كثيرا من التقلبات ومن مشـاكلها الخاصـة، بعضـها كـان خطـير جـدا، لكنهـا جمعت كامـل البنيـة الاقتصادية لوسط أوربا.

كـان نهـر الـدانوب يمثـل الطريـق السـريع لأوروبـا ومركزهـا التجاري، وكانت تحميه الإمبراطورية النمساوية. وبغض الطـرف عما وصلت اليه أحوالها المزرية وظروفها المتـدهورة، إلا أنـه لم يكن باستطاعة رعيتها فعل شئ رغم معاناتهـا.مـع ذلـك، اختفت الامبراطورية مثل ضباب في صباح يوم جديد.

سافر الامبراطور فرانسوا جوزيف للأراضـى المقدسـة ليقـدم تبجيلـه للمسـيح، ومـرّ على مقربـة من سـجن عكـاء الـذى كـان بهاءالله أسيرا فيـه.في الماضـي كـانت مدينـة السـجن القديمـة "عكاء"، تسمّى "عكّو"، وهي الموقع الذي أشـير اليـه في نبـوءة هوشع، وقال أنهـا سـتكون "بـاب الأمـل" للأمم. وتنبـأ إشـعيا أن هذه المدينة ستكون "مرتع قطيـع الـرب"، "لشـعبي الـذي بحث عني". إن فرانسوا جوزيـف لم يبحث عن بهاءاللـه ولم يهتم بـه، بالرغم من سمعة وحياة بهاءالله التي وصفها كتّـاب ودبلوماسـيّ أوروبا، كحياة مصلح وقديس.

ومن مدينــة السـجن، كتب بهاءاللـه هـذة الكلمـات التاريخيـة لفرانسوا جوزيف:

"يا ملك النمسة كان مطلع نور الأحدية في سـجن عكاء إذ قصدت المسجد الأقصى مررت وما سئلت عنه بعد إذ رفع به كـل بيت وفتح كـل بـاب مـنيف قد جعلنـاه (القـدس) مقبـل العـالم لـذكرى وأنت نبـذت المـذكور إذ ظهـر بملكـوت اللـه ربـك ورب العالمين"

سـيقول أي شـخص لم يتحقــق من دين بهاءاللــه في أول رد فعل له: "من ذا الذي يستطيع لـوم الأمـبراطور؟ لـو كنت ملكـا وخاطبني شخص ما بمثل هـذه الكلمـات، فسـأتجاهله، لأن مثـل هذا الإدعاء، مناف للعقل." لكن من جهة أخرى، تعد هذه الأجابة غير مقبولة اذا كان الشخص يؤمن بأحد أديان العالم.

المسيحيون واليهود والمسلمون يعتقـدون أن اللـه يحـدثنا عن طريــق رســله؛ وأن دعــواتهم متشــابهة؛ وأنهم جميعــا تعرضــوا للاضطهاد؛ وأنهم جميعا وعدوا أن الله سيرسل ذاتاً مقدسة "في تمـام الـوقت" سـيكون "أمـيراً للسـلام". إضـافة الى ذلـك، إن الكنيسة المسيحية ذاتها قامت على نفس أسـاس المقولـة غـير المعقولة لمن وصف بالجنون في وقته، والذي كان ضـعيف جـداً لدرجة أنه لم يقو حـتى على إنقـاذ نفســه. لقـد وصـفت كلمـات المسيح آنذاك "بالكذب".

كـان هـذا هـو اعتقـاد فرانسـوا جوزيـف. لقـد كـان يسـتمع "للقداس" كل يوم، ويستمع لذات القصة المألوفـة عن أضـطهاد هـــيرودس وبيلاطس البنطى للمســيح، اللـــذان كانـــا كـــذلك، يتضرعان لله في كل يوم ليوفي بوعده، قائلين: "لتكن مشـيئتك كما في السماء كذلك على الأرض."

إن المشكلة مع الوعود التي أعطانـا اللـه إياهـا، كمـا اكتشـف الفريسيون ذلك قبل ألفي عام، أنها حتمية. والله.. سيفي بها.

كتب بهاءالله الى فرانسوا جوزيف قائلا:

"كنــا معــك في كــل الأحــوال ووجــدناك متمســكا بالفرع غافلا عن الأصل"

"إنا ما جئنا إلا لاتحاد من على الأرض كلها"

الجزء الثانى : إنقسام إلى أجزاء

كانت زيارة الأمبراطور فرانسوا جوزيف للأراضي المقدسة غاية في الفخامة والفخفخة، ولم يتكفل بمصاريف مثل هذا المهرجان المهيب، إلا العمال وبسطاء الناس في مملكته.

ومثل بقية الملوك الأخرين، أهمل فرانسوا جوزيف كلمات بهاءالله.

"ثم اعلموا بأنّ الفقراء أمانات الله بينكم إيّاكم أن لا تخانوا في أماناته ولا تظلموهم ولا تكوننّ من الخائنين."

حزن بهاءالله بالتأكيد من سلوك الامبراطور الذي اقترب من مراد قلبه جداً، لكن حزنه كان أكبر على البشرية. وواسى المضطهدين من البشر بقوله أنه بالرغم من معارضة جميع الحكام للمظهر الإلهي، إلا أنه آجلاً أم عاجلاً سيتحد جميع الرجال بعزيمة مشتركة لتحقيق هدف واحد، ألا وهو: "السلام والحرية". إن قادة الشعوب باستطاعتهم تعجيله أو تأخيره، لكنهم سيعجزون عن إيقافه.

وكتب من مدينة السجن عكاء:

"قد جئنا لاتحاد من على الأرض واتفاقهم يشهد بذلك ما ظهر من بحر بياني بين عبادي ولكن القوم أكثرهم في بعد مبين"

بهاءالله، "مجد الرب"، جاء الى الأرض المقدسة من "الشرق" من خلال "البوابة"، كما تنبأت به فقرات الكتاب المقدس الذي يبجله امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة.

مرّ فرانسوا جوزيف، أقوى أباطرة زمانه، تماما بالقرب من "سجين عكاء"، ومع ذلك كان غافلاً عن كلماته لقادة الأمم:

"ينبغي لجنابك أن تدعو العباد في جميع الأحوال لما هو سبب ظهور الأخلاق الروحانية والأعمال

الطيّبة حتى يدرك الجميع ما هو سبب ارتفاع الوجود"

كسجين.. ليس باستطاعة بهاءالله زيارة أوروبا، لكن امبراطور النمسا جاء للأرض المقدسة ومرّ من تحت ظل حضرته. لم يكن لقائهما مقدراً، لكن كلمات بهاءالله لفرانسوا جوزيف ستبقى مطوية بين صفحات النسيان حتى يلتفت التاريخ ليشهد تحققها.

أعلن بهاءالله أن "اليوم الموعود" يقترب:

"سوف يرون المخلصون شمس العدل مشرقة من أفق العلاء كذلك يخبرك مولى الورى في سجنه المتين"

وكتب قائلا:

"من يقدر أن يطفئ ما أناره الله بيده البيضاء ومن يستطيع أن يخمد ما أشعلته يد قدرة ربّك القوي الغالب القدير"

بالتأكيد ليس باستطاعة أي ملك منع نهوض أمره وانتشاره، أو منع النور الذي أشرق في قلوب أتباعه. لقد كتب بهاءالله بنفسه:

"قل إنّ جبل سكون أصفيائي لا يتزعزع من أرياح العالم ولا من عواصف الأمم"

وقال:

"كذلك يأمركم رسول الله لهذا اليوم من السجن المتين أنه لا يمكن للملوك أو للبشر أن يمنعوا إشراق شمس تعاليمه بل أن الله وجههم لخير الإنسانية".

وكتب بهاءالله:

"يا معشر البشر تمسّكوا بالحبل المتين إنّه ينفعكم في الأرض من لدى الله ربّ العالمين.. وفي بعض الأحيان عندما كانت البلايا والرزايا تحيط بنا من كلّ جهة دعونا أهل الأرض إلى

الأفق الأعلى بكمال الاقتـدار.. إن هـذه الأراضـي المقدســة وُصِــفت وذُكِــرت في جميــع الكتب الإلهية.. إنّ كلَّ ما ظهـر اليـوم قـد ذُكـر في كتب القبل"

لقد أخبر إرميا عن "الشخص العظيم" الذى سيأتي من إيــران في "ذلك اليوم"، ليدمر "الملـوك والأمـراء"، وتنبـأ بمصـير تلـك الأمم الــتي ستعارضــه، قــائلا: "أنت لي فــأس وأدوات حــرب، فأسحق بك الأمم، وأهلك بك الممالك"

لقـد بـدأ سـقوط المملكـة الرابعـة.. فلا أمـة، ولا إمبراطوريـة "تفتتت الى أجزاء" بمثل هذه الحالة الدراماتيكيـة الدائمـة الـتي حصلت لآل هابسبورغ.

.

"انتم وما عندكم ستفنى"

الجزء الثالث : سقوط المملكة الرابعة

أعلن الانهيار والتحلل الداخلي عن الزلزال الذي يهـدد مملكـة فرانسوا جوزيف.

فقد نصح بهاءالله ملوك الأرض بمراعاة حقوق رعاياهم قائلا:

"وإنّك لو تجري أنهار العـدل بين رعيّتـك لينصـرك الله بجنود الغيب والشهادة ويؤيدك على أمرك"

عورضت تصـرفات الامـبراطور النمسـاوي المجـري فرانسـوا جوزيــف مباشــرة. فلم تفض "أنهــار العــدل" عــبر البلاد، ولم يســاعده أو يســانده أحــد في الأزمــة العميقــة الــتي غمــرت امبراطوريته المشتتة في أواخر القرن التاسع عشر. ولقد وصف حضرة بهاءالله المصـير الـذى ينتظـر هـؤلاء الملـوك في كتاباتـه قائلا:

"وَكُنْتُمْ في وَادِي الشَّـــــهَوَاتِ لَمِنَ المُحبَــــرينَ، فَوَاللهِ أَنتُمْ وَما عِنْدَكُمْ سَتَفْنَى"

لقد قيل عن عهد فرانسوا جوزيف، أن "المآسي المتكررة قـد أظلمت نظامـه". فبإصـرار مـرعب تـوالت الأحـداث المفجعـة واحدة تلو الأخرى. فقد هزم أخوه مكسيمليان وسـجن، ثم قتـل بالرصـاص أثنـاء ثـورة الفلاحين في المكسـيك؛ أمـا إبنـه الأمـير رودلف ولي العهد، فقد ألحق العار بالعائلة الملكية، وأخيرا مات بطريقة مخزية؛ زوجته الامبراطورة اليزابيث اغتيلت في جـنيف؛ أما الارشيدوق "الأمير" فرانسيس فرديناند وزوجته، فقـد كـانت حادثة اغتيالهما المأساوية في سرايفو هي شرارة اندلاع الحـرب العالميـة العظمى. وبعـد فـترة قصـيرة واجـه فرانسـوا جوزيـف الموت بنفسه، وبموته "انتهى نظام لم يتفـوق عليـه نظـام آخـر في جــرّ البلاد لمثــل هــذه الكــوارث". بلاد مركبــة من ولايــات مختلطة بالأعراق واللغـات؛ لقـد بـدأت الامبراطوريـة الرومانيـة المقدسة القاسية، بالتفتت.

تركت كـل تلـك الأحـداث، الامبراطوريـة الرومانيـة المقدسـة العظيمة، دولة منكمشة تقضي حياة بائسة"

ثم سيطر هتلر على الجمهورية النمساوية الصـغيرة، وأعيـدت في عام 1945 خلال الاجتماع الهام الذي أقامه ممثلـو الجيـوش الأربعة.

لقـد أحـدثت كلمـات بهاءاللـه صـدى من زنزانـة السـجن في الأرض المقدسة عبر البحر المتوسـط. وتحققت وعـوده و"أطيح بالسلالة النمساوية" وأزيح الملك والأمراء على حد سواء.

كمثيلاتهـا من الممالـك السـابقة، عـاقبت السـلالة النمسـاوية نفسها بقراراتها الخاطئة، وكان أول الأخطـاء هـو نبـذهم رسـول إلهي، وهـذا خطـأ روحـاني، ثم تلا ذلـك أخطـاء أخلاقيـة تتعلـق بالسلام والعدل؛ وأخيرا حسابات سياسـية خاطئـة جـدا، فكـانت النهاية.

إن الغفلـة عن اللـه والانسـانية، تـدفع بأهـل السـلطة لتركـيز اهتمــامهم في البحث عن رفعــة مصــالحهم ومصــالح أحــزابهم وأممهم؛ وهذا مخالف لروح العـدل والمحبـة؛ وبهـذا يسـتقطبون سقوطهم آجلا أو عاجلا بشكل حتمي.

إن الرسـول الإلهي هـو المشـرّع لقـوانين زمانـه، ومن يكسـر الشرع ينال جزاءه. وكذلك الحال في المجتمعات المدنيـة، ينـال الذين يتجاهلون أو يكسرون القوانين الموضوعة تبعات إهمالهم. فهذه القوانين الخارجية، هي مرآة لعالم الأخلاق والأدب، وكذلك لروحانيات شرع اللـه الـتي هي الأسـاس والقاعـدة للحيـاة على الأرض. لذلك يكون العقاب أكـثر شـدة وبشـكل عـام طالمـا أن المذنبين هم القادة والشعوب معاً.

عندما تشرق الشـمس، فعلى جميـع الكائنـات موائمـة نفسـها لليوم الجديد. فعلى سبيل المثال، تتفتح براعم الأزهـار مـع دفء نور الشمس التدريجي. فاذا تجاهلت ذلك وبقيت منطوية منغلقة على نفسـها حـتى وقت الظهـيرة، عنـدها سـتدمرها قـوة أشـعة شمس منتصف النهار المفاجئة.

وبالمثل.. فـان الممالـك والأمم الـتي رفضـت لأكـثر من قـرن تفتح قلوبهم "لشمس حقيقة هذا اليوم"، فلقـد وعـدهم بهاءاللـه في جميـع "كتبهم المقدسـة"، أنهم سـيجدون أنفسـهم الآن في خطـر عظيم بسـبب رفضـهم التـواؤم مـع نـور وحـرارة "اليـوم الجديد".

جاء "وقت الربيـع" الإلهي بميلاد الـدين البهـائي عـام 1844م قبل قرن ونصـف ومضـى؛ وكـان لابـد لجليـد الاختلافـات وثلـوج الاعتراض المتراكمة أن تـذوب منـذ أمـد بعيـد. والآن أصـبح هـذا الإغفال المتجمد عاجزاً عن مقاومة حرارة شمس صـيف تعـاليم بهاءاللــه، وواهنــاً أمــام الأشــعة اللاهبــة الــتي أذابت وأفاضــت وإكتسحت كل شيء أمامها.

وكم تبدو كلمات النبي صفنيا مدهشة ومتوافقـة عنـدما نتأمـل مصير الامبراطور فرانسوا جوزيف وعائلته، فلقـد تنبـأ بخصـوص مجيء "يـــوم الـــرب العظيم" عنـــدما ســـيكون على "جبلـــه المقدس".

لقد زار فرانسوا جوزيف ذلك "الجبل"، كما قرأنـا، ومـرّ تحت ظلال سجن عكاء. ومع ذلك، لم يكلف نفسه حتى بالسؤال عنه، كما ذكر ذلك حضرة بهاءالله بنفسه في كلماته.

والآن، لم يعـد لملـك ولا لأمـراء آل هابسـبروغ الملكـيين أي وجود. لقد تنبأ النبي صـفنيا عن هـذه الحقبـة من الـزمن، قـائلا: "ويكون في يوم ذبيحة الرب إني أعاقب الرؤساء وبني الملوك"

.. وسقطت المملكة الرابعة.

.

الفصل السابع

نهوض مملكة

"إذا كان هذا من الله فانه سيبقى"

الجزء الأول : نهوض مملكة

"يـا أَيَّتُهـا المَلِكَـةُ فِي اللُّونْـدْرَةِ أَنِ اسْـتَمِعِي نِـدَاءَ رَبِّكِ.. إِنَّهُ قَدْ أَتَى فِي العَالَمِ بِمَجْدِهِ الأَعْظَمِ وَكَمُلَ مَا ذُكِرَ فِي الإِنْجِيلِ"

بهـذه الكلمـات، اسـتهلّ حضـرة بهاءاللـه خطابـه الى الملكـة فكتوريا، ملكة بريطانيا العظمى، حيث ربط فيه مـرة أخـرى بين "دعوته" ودعوة المسيح، وذكر أن مدينة عكاء تشرفت "بموطئ أقــدام" الموعــود، وأتيحت الفرصــة للبشــرية في هــذا اليــوم "لاستنشاق عبير" الوحي الإلهي حتى يثملوا من صهباء وجوده.

مدح حضـرة بهاءاللـه الملكـة فكتوريـا على قـرارين اتخـذتهما الحكومة البريطانية، وكانا صعبا المنال، فكتب:

"قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكِ مَنَعْتِ بَيْـعَ الغِلْمَـانِ وَالإِمـاءِ هـذا مـا حَكَم بِهِ اللهُ فِي هذَا الظُّهُورِ البَدِيعِ، قَدْ كَتَبَ اللــهُ لَكِ جَزَاءَ ذلِكَ إِنَّهُ مُوفِي أُجُورَالمُحْسِنِينَ"

وفي جزء آخر من هذا اللوح، قال حضرته:

"وَسَــمِعْنا أَنَّكِ أَوْدَعْتِ زِمــامَ المُشــاوَرَةِ بِأَيــادِي الجُمْهُـورِ نِعْمَ مـا عَمِلْتِ لأَنَّ بِهـا تَسْـتَحْكِمُ أُصُـولُ أَبْنِيَةِ الأُمُورِ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُ مَنْ فِي ظِلِّكِ مِنْ كُــلِّ وَضِيعٍ وَشَرِيفٍ"

كان حضرة بهاءالله حزينا على أحوال العالم، ويشتاق لانتشـار السلام بين البشر حتى تتقدم مَلَكات الابداع في جميـع القلـوب، ونسب معظم معاناة البشر الى نفاق وجشع القادة السياسـيين، فكتب:

"وَاليَـوْمَ نَـرَاهُ (العـالم) تَحْتَ أَيْـدِي الَّذِينَ أَخَـذَهُمْ سُــكْرُ خَمْـرِ الغُـرُورِ عَلَى شَــأْنٍ لا يَعْرِفُـونَ خَيْــرَ أَنْفُسِــهِمْ فَكَيْـفَ هـذا الأَمْـرَ الأَوْعَـرَ الخَطِـيرَ، إِنْ

سَعَى أَحَدٌ مِنْ هـؤُلاءِ فِي صِحَّتِهِ لَمْ يَكُنْ مَقْصُـودُهُ إِلاَّ بِأَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ اسْـماً كَـانَ أَوْ رَسْـماً لِـذَا لا يَقْـدِرُ عَلَى بُرْئِهِ إِلاَّ عَلَى قَدَرٍ مَقْدُور"

ووصف في رقيمته للملكة فكتوريا علاجا يشفي سقم العالم:

"يا أَيَّتُها المَلِكَـةُ فِي اللُّونْـدْرَةِ.. وَالَّذِي جَعَلَـهُ اللـهُ الدِّرْياقَ الأَعْظَمَ وَالسَّـبَبَ الأَتَمَّ لِصِـحَّتِهِ هُـوَ اتِّحـادُ مَنْ عَلَى الأَرْضِ عَلَى أَمْـرٍ وَاحِـدٍ وَشَـرِيعَةٍ واحِـدَةٍ، هــذَا لا يُمْكِنُ أَبَــدَاً إِلاَّ بِطَبِيبٍ حــاذِقٍ كامِــلٍ مُؤَيَّدٍ لَعَمْرِي هذا لَهُوَ الحَقُّ وَما بَعْدَهُ إِلاَّ الضَّلالُ المُبِينُ"

بأي روح استقبلت الملكة لوح حضرة بهاءالله؟

نقلا عن أحد التقارير المكتوبة، ذكر أن الملكـة فكتوريـا قـالت عند قراءتها اللوح (الرسالة) المـنزّل إليهـا: "إذا كـان هـذا الأمـر من عند اللـه، فسـوف يبقى.."تمامـا كمـا فعـل الحاخـام الكبـير جمالائيل الذي رفض أدانـة المسـيح أو الايمـان بـه؛ لقـد فضـلت الملكة أن يأخذ التاريخ مجراه..

من بين جميع الحكام الـذين كتب لهم حضـرة بهاءاللـه، كـانت الملكة فكتوريا هي الوحيدة التي استجابت وان كان ذلك بشـكل محدود، وهي الوحيـدة من بين الملـوك الـتي نجت مملكتهـا ولم تمر بأي من الكوارث المدمرة القاسية خلال فترة حكمها.

توفيت الملكة فيكتوريا في 22 يناير1901 خلال حرب جنــوب أفريقيا، لقد حكمت شعبها أكثر من ثلاثـة وسـتين عامـا، فكـانت أطول فترة حكم عرفها التاريخ البريطاني. وبالتأكيد فإن فكتوريا قد بوركت بنظام تباين بشدة مع بقية أقرانها من الحكام.

وعلى كل حال، سيكون هناك لاحقـاً، رابطـا مباشـرا أكـبر بين الملكـة و"السـجين". مكافـأة أكـثر عظمـة سـتأتي لأحـد أفـراد سلالتها. ففيما بعد، أصبحت "ماري" ملكة رومانيا، حفيدة الملكة فكتوريـا، من أتبـاع "سـجين عكـاء" المخلصـات. وتـركت هـذه الملكة المؤمنة أدلة عديدة كتبتها بقلهما عن ديانة بهاءاللـه. لقـد أعلنت أيمانها للملأ علناً.

كتبت الملكة ماري: إن استرعى انتبـاهكم اسـم بهاءاللـه.. فلا تبعدوا آثـاره عنكم.. ودعـوا كلماتهـا ودروسـها المجيـدة الحاملـة

للسلام الخالقة للمحبة تهوي في سويداء قلوبكم، كما هوت إلى أعماق قلبي.. فتشوا عنها وكونوا أسعد حالاً".

وكتبت بعـد ذلـك: "إنهـا رسـالة السـيد المسـيح مـرة أخـرى، أخذت نفس الكلمات من جديد تقريبـا، إلا أنهـا تعـدلت بمـا يلائم فـوارق الألفي سـنة تقريبـا الفاصـلة بين السـنة الأولى لظهـوره ويومنا الراهن".

فـرح البهـائيون الكنـديون بالرسـالة الـتي وجهت من الملكـة مـاري الى الجريـدة الكنديـة "نجمـة تورنتـو" عنـدما أعلنت على صفحاتها أيمانها لأول مرة.

هناك صلة ثانية أيضا تربط بين الملكة ماري، أول ملكة تعتنـق دين بهاءاللـه، وأول الملـوك الـذين وجـه لهم حضـرة بهاءاللـه رسائله الخاصة. فالملكة "ماري"، ملكة رومانيـا، هي حفيـدة كلا من الملكة فكتوريا وألكسندر الثاني ملك روسيا. فكتوريـا كـانت الملكـة الوحيـدة الـتي أبـدت اسـتجابة بسـيطة لرسـالة حضـرة بهاءالله. ومـع أن ألكسـندر الثـاني لم يبـال، إلا أن أحـد سـفرائه كان قد بذل مجهودا غير مجدي لإنقاذ حضرة بهاءاللـه من أيـدي مضطهديه.

إن حفيدة كلا هذين الملكين، كانت الأولى من سـلالة الملـوك التي عرفت وآمنت بدعوة حضـرة بهاءاللـه، الـدعوة الـتي أعلن مؤسســها أنــه سيخضــع لهــا في النهايــة ولاء معظم الجنس البشري.

أي بركات ستحل بأمة أصـغى حاكمهـا بصـدق للكلمـات الـتي أرســلها إليهم بهاءاللــه؟ وأي نِعم ســتحل بــالجنس البشــري بأكمله؟

وعد حضرة بهاءالله بنفسه قائلا:

"طُوبَى لِمَلِكٍ قَامَ عَلَى نُصْـرَةِ أَمْـرِي فِي مَمْلَكَتِي وَانْقَطَعَ عَنْ سِواي"

لقد أخبر حضرة بهاءالله، أحد الملوك، بأنه لولا إعراض رجـال الدين وتآمر الحكام، لقـدم لهم مـا "ينعش ويهـز قلـوب" و"يقـر عيون" و"يهدي أرواح" البشر طراً.

لام حضرة بهاءالله بقسوة هؤلاء الملوك الذين رفضوا القيام بأي مجهود لتحري حقيقة أمره، وتكرر فشلهم بإنكارهم لمسئوليتهم أمام الله تجاه رخاء شعوبهم وسلام العالم.

وعلى كل حال، يجب أن لا نخطئ في التفكير بأن نعتبر هذه الإدانة تمثل نقدا لمقام الملكية ذاتها، أو تعتبر هجوما على الحكومات الموجودة. وتنبأ حضرة بهاءالله باليوم الذي ينهض فيه الملوك العادلين وبقية الحكام ليغتنموا الفرصة التي فاتت الملوك السابقين بشكل مأساوي.

وكتب حضرة بهاءالله قائلا:

"عما قريب سوف يظهر الله ملوك يجلسون على سرير العدل ويحكمون بين الناس كما يحكمون أنفسهم هؤلاء أفضل خلقي في الوجود"

ولقد وصف حضرة بهاءالله البركات التي سوف يجلبها هؤلاء الملوك للكوكب بأكمله:

"يَا مَعْشَرَ الأُمَرَآءِ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ جُنْدٌ أَقْوَى مِنَ الْعَدْلِ وَالْعَقْلِ. أَلْحَقُّ أَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الأَرْضِ جُنْدٌ أَقْوَى مِنَ الْعَدْلِ وَالْعَقْلِ وَلَنْ يَكُونَ. طُوبَى لِمَلِكٍ يَمْشِي وَتَمْشِي أَمَامَ وَجْهِهِ رَايَةُ الْعَقْلِ وَعَنْ وَرَائِهِ كَتِيبَةُ الْعَدْلِ إِنَّهُ غُرَّةُ جَبِينِ السَّلاَمِ بَيْنَ الأَنَامِ وَشَامَةُ وَجَنَةِ الأَمَانِ فِي الإِمْكَانِ. فِي الْحَقِيقَةِ إِذَا انْقَشَعَ سَحَابُ الظُّلْمِ عَنْ شَمْسِ الْعَدْلِ لِتُرَى الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ"

بالنسبة لقضية الملكة فكتوريا، فنحن مدركون لهالة الاحترام التي أحاطتها وعرشها، لكننا نخشى اهمال حقيقة تاريخية لها دور واسع في قصتنا.

عندما اعتلت الملكة فكتوريا العرش سنة 1838، كانت المملكة البريطانية في أدنى درجات الانحطاط. كان جدها جورج الثالث مجنونا؛ ولحقت بعمها جورج الرابع فضيحة قومية ألهمت العامة لكتابة أغنية أطفال سوقية؛ أما عمها الثاني، سلفها المباشر، ويلهلم الرابع، فلقد كان موضع استهزاء العموم أثناء حياته، وفي يوم جنازته وصفتها جريدة "التايمز" بجنازة شخص من العامة. أما فكتوريا نفسها، فكانت امرأة صغيرة السن

عديمة الخبرة، وآخر فرع صغير في شجرة العائلة المالكة، وليس لها إلا عدد قليل من المناصرين، وكان سكان لندن يعتقدون أنها ستكون آخر ملكة لانكلترا، وأن بريطانيا ستتبع فرنسا أو الولايات المتحدة أو بقية الأمم المتقدمة لتتحول الى جمهورية.

لكن ما حصل، أن الملكة فكتوريا حكمت لمدة ستين عاما، وتركت مملكتها في أمان أكثر من أي وقت لها على مرّ التاريخ.

أشار حضرة بهاءالله بوضوح، إن الإستجابة للنداء الإلهي حتى ولو كانت بأبسط صورها، فإنها تجلب الكثير من البركات. كما هو الحال عند اختراق أقل شعاع لعدسة الكاميرا، فإنه يطبع صورة كاملة على الفيلم الحساس. إن العقل ليذهل من القوة الكامنة التي يمكن أن تتحرر عند استجابة جموع البشرية للدعوة الإلهية.

وبعكس الملكة فكتوريا وحكومتها، فإن بقية الملوك الأوروبيين قد أبعدوا تماما عن المشيئة الإلهية، وبذلك قاسوا بشدة من التأثير التام لخواء ثقتهم بأنفسهم وتباين ممارساتهم.

اتسم ملوك القرن التاسع عشر بمخالفة تعاليم حضرة بهاءالله، إلا أن أعنفهم كان ملوكا إيران وتركيا. إنهما لم يفشلا فقط في الاستجابة ولو بشكل بسيط لكلمات بهاءالله، بل انضما مرارا وبكل نشاط للقوى التي عذبت وسجنت ونفت رسول إلهي. وفي واحدة من هاتين الامبراطوريتين، ذُبح بأبشع الطرق أكثر من عشرين ألفا من أوائل أتباع الدين البهائي.

وصف حضرة بهاءالله، أول هذين الملكين، بـ "أمير الظالمين"، ووصف الثاني بالجالس على "عرش الظلم".

وقال أن الله سيجعلهما "درسا نموذجيا للعالم".

الفصل الثامن

المنفى

"مذبحة جماعية"

الجزء الأول: بقايا الدار

إن التركيز نحـو العلاقـة بين الرسـول الإلهي وبين قـادة الأمم الغربية القوية، أدى بنا الى تخطي أحداث الشـرق الأدنى. وقبـل المضي نحو قصة المملكة الخامسة، لنعـد ونلقي نظـرة سـريعة على الأحداث التي أخرجت بهاءالله من موطنه الأصلي ومهــدت السبيل لأعلان دعوته للملوك.

كـان بهاءاللـه مـا يـزال حبيسـاً في سـجن "الجب الأسـود" بطهـران، حينمـا وقعت حادثـة معينـة أدت الى إطلاق سـراحه. فلقـد جنّـد من حـاول اغتيـال ناصـرالدين شـاه، شـابا معتوهـا لمساعدته. وخلال فترة الاضطهادات، اعتقـل هـذين الشخصـين، فاعترف الأول بذنبه على أنه المخطـط الوحيـد منـذ البدايـة وأن رفيقه البائس هو المساعد الأوحد له.

وفـور الحصـول على الاعـتراف، ذهب على الفـور منـدوبا عن رئيس الوزراء ليدونه حرفيـاً، كـذلك انتهـزت السـفارة الروسـية هذه الفرصـة لترسـل مترجمهـا على الفـور، وذلـك لاهتمامهـا بـ "السجين". وبهذا حاز الاعتراف على توثيق رسمي.

أصاب الغضب أعـداء بهاءاللـه، فقـد أغـاظتهم فكـرة احتمـال نجاتـه من الجب بعـدما بـات قـريب جـدا من الهلاك. وقبـل أن يُطلق سراحه، حاصر أولئك المتآمرون الشاه بالخطـط الجديـدة الـتي ابتـدعوها، وأكـدوا لـه قـدرتهم على توريـط بهاءاللـه في مشـاكل خطـيرة. فقـد كـانوا واثقين من أن تلـك الدسـائس ستضـمن هلاكـه. ولجـأوا للضـغط على الشـاه بواسـطة والدته.وكالمعتاد تصرف وكأنها رغبته هو، فخضع لمخطط الـذين يهابهم ووافق على مكائدهم.

استدعى الشاه رئيس الوزراء وطلب منـه أرسـال كتـائب من الجنود لمهاجمة منطقة سـكن بهاءاللـه في مدينـة نـور. ثم قيـل للجنود أنهم سيُرسلون لقمع مجموعة من مثـيري الشـغب. كانـا يتوقعـان أن يـؤدي هـذا الهجـوم المفـاجيء الى فوضـى عامـة،

فيرتبك أهل القرى ويندفعون للمقاومة المسلحة. كانت الخطة هي افتعال ثورة بين القرويين وإلقاء تبعيتها على بهاءالله واتهامه بالتحريض على ثورة سياسية.

كان المنزل الصيفي لبهاءالله في قرية تاه كور في مقاطعة نور. ورغم أن رئيس الوزراء أدرك تماما بمجرد سماعه بهذه التعليمات، أنها خطة موجهة ضد بهاءالله بالذات، إلا أنه لم يفعل شيئا لمنعها.

وضِعت كتيبة من الجنود تحت قيادة ضابط يُدعى ميرزا أبو طالب، وبمجرد وصول قواته الى قرية تاه كور، أمرهم بالاستعداد لهجوم شامل. وعندما أدرك أهل القرية العزل المندهشين اقتراب الجنود، قاموا بأرسال مندوبين عنهم لمناشدة الضابط وسؤاله عن أسباب مثل هذا الهجوم، إلا أن ميرزا أبو طالب رفض مقابلتهم، وبدلا من ذلك، أرسل رسالة قاسية يخبرهم فيها: "أنه مكلف من قبل الملك بعمل مذبحة جماعية لرجال هذه القرية والقبض على نساءها ومصادرة ممتلكاتها".

كان أول عمل قام به الجنود، هو مهاجمة المنزل الصيفي البديع لبهاءالله الذي ورثه عن والده وزير التاج الملكي، وكان مشهورا بأثاثه الفاخر الثمين. فأمر أبو طالب رجاله باقتحام كل ركن فيه وتفتيش كل زاوية ومصادرة جميع محتويات المنزل. وأصدر تعليماته بحرق أو تدمير كل ما لا يمكن حمله. فشوّهت جدران الحجرات المزينة بالنقوش الجميلة بطريقة لا يمكن أصلاحها، وهدمت الأعمدة ودمرت الزخارف وترك المنزل خراباً. وبعد الانتهاء من هذا الهجوم، توجهت الكتيبة لتدمير باقي منازل القرية، ثم أشعلت فيها النيران.

هذا الاستفزاز المتعمد، لدفع المواطنين للقيام ضد حكوماتهم ومقاومتها بالسلاح، كان سابقة عسكرية لمشاريع مماثلة سيستعملها طغاة القرن العشرين على نطاق أوسع مستقبلا ضد من يبتغون تدميره من شعوبهم. وكان من المؤمل أن يحاول بهاءالله ومؤيدوه تحريض أهل المقاطعة ضد الحكومة، وعندها تقمع المقاومة، ثم يدان بهاءالله بالخيانة العظمى.

"غرضنا محو الحروب وإراقة الدماء من على وجه الأرض"

الجزءالثاني: خارجا من الجب

فشلت المؤامرة الجديدة، ولم يُظهر بهاءالله وعائلته أي ميل للتحريض ضد التاج الملكي. وبعد أن أصبحت براءته علنيةً، ضاعت عليهم فرصة تشويه سمعته وقتله. وتكدر أعدائه عندما أدركوا أنه ليس من الممكن أو من الحكمة إحتجازه كسجين أكثر من ذلك.

أرسل الحاج علي، وهو أحد وزراء التاج الملكي، وصديق سابق لبهاءالله، لمرافقته الى خارج "الجب". كانت الأوامر تقضي باخراجه أمام أعين السلطات ساعة معرفته بخبر إطلاق سراحه؛ عندما شاهد الوزير قذارة ونتانة الزنزانة وأرضيتها المليئة بالحشرات، ارتعب كثيرا وراح يشتم رئيس الوزراء ويصيح: "اللعنة على أقا جان". وعندما تقدم في تلك الظلمة ليرى بهاءالله الذي كان يحبه ويحترمه، وشاهد هيئته بشعر رأسه الأشعث المتلبد وملابسه المتسخة الممزقة وأكتافه المتقرحة من ثقل السلاسل التي أحنت رقبته، قال متأسفاً بصوت مسموعٍ والدموع تنهمر من عينيه: "يشهد عليّ الله أنني لم أدرك أبداً أنك ستخضع لمثل هذه المعاملة".

لم يتحمل الحاج علي النظر الى الأسمال الممزقة القذرة التي كانت على جسد بهاءالله، فخلع عباءته الفاخرة ووضعها على كتفه متوسلاً اليه ارتدائها، فليس من اللائق ظهوره بتلك الحالة المزرية وسط البلاط الملكي، باعتباره أحد أفراد أقدم العائلات الفارسية النبيلة. فرفض بهاءالله ذلك، وقال إنه يفضل الظهور أمامهم بنفس الملابس التي أدخل بها الى السجن، ملابس سجين ما زال هناك أبرياء آخرون يرتدونها.

كان بهاءالله يعلم أن المعاناة التي تكبدها وأصحابه في سياه جال، لم تكن إلا مقدمة لرزايا عظيمة ستأتي لاحقاً، وسيدرك الشاه ورجال الدين ذات يوم، أن حضرته لم يكن مجرد أحد مشاهير البابيين فقط، بل هو الموعود الذي تنبأ له حضرة "الباب"، أن البلايا ستحيط به كالطوفان من كل جانب.

وفيما بعد، أعاد بهاءالله الى الأذهان ذكرى شهور سياه شال العصيبة في رسالته التي أرسلها الى ناصرالدين شاه من سجنه في عكاء، قال:

"يَا سُلْطانُ إِنِّي كُنْتُ كَأَحَدٍ مِنَ العِبادِ وَرَاقِـداً عَلَى المِهَادِ مَرَّتْ عَلَيَّ نَسَائِمُ السُّبْحانِ وَعَلَّمَنِي عِلْمَ مَا كَانَ لَيْسَ هذا مِنْ عِنْدِي بَلْ مِنْ لَدُنْ عَزِيزٍ عَلِيمٍ، وَأَمَرَنِي بِالنِّدَاءِ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّماءِ وَبِذلِكَ وَرَدَ عَلَيَّ مَا تَذَرَّفَتْ بِهِ عُيونُ العَارِفِينَ"

أُقتيد بهاءالله من السجن الى مقر الحكومة السلطانية، وأُدخل في محضر رئيس الوزراء ميرزا أقا جان، ولابد أنه أصيب بالذعر من هيئة بهاءالله؛ لما تعرض له من معاملة قاسية شديدة، لدرجة أن لا أحد من معارفه استطاع التعرف عليه.

فشل رئيس الوزراء في الوفاء بوعده للباب، فلم يحمِ البابيين أو يدافع عنهم كما سبق ووعده بذلك؛ وبدلا منه، ورغم أنه الوزير الأعلى في البلاد، فقد تولى قيادة وتنظيم المذابح التي وصفها المؤرخون الأوربيون "لا نظير لها". وكتب عنها الملحق العسكري النمساوي: "ينصعق قلمي ذعراً عند محاولة وصف ما وقع على هؤلاء الرجال والنساء البواسل".

تأكدت أكاذيب ميرزا أقا جان حيال عهوده لكل من الباب وبهاءالله، لكنه بقي غير مستعد لمواجهة ضميره؛ وعوضاً عن ذلك، راح يخاطب بهاءالله بخشونة ليداري عاره، فقال: "لو أخذت بنصيحتي، وقطعت صلتك بدين الباب، لما عانيت كل هذا الألم والمهانة".

حدّق حضرة بهاءالله في عينيه ورد عليه بكل بساطة:

"في المقابل.. لو أتبعت نصائحي، لما وصلت أمور الحكومة لمثل هذه الحالة الحرجة"

من ذا الذي يستطيع معرفة الأفكار التي برقت لحظتها في خاطر ميرزا أقا جان؟ هل تذكّر حادثة مرضه القديمة وسماعه قرار الأطباء في فقدان أي أمل بشفاءه؟ هل تذكّر زيارات صديقه بهاءالله واعتنائه به؟ هل تذكّر تصريحاته لمعارفه أن بهاءالله من أعاد له عافيته؟ هل تذكّر ما تنبأه عنه وأخبر به إبنه؟ "يا بني.. أولئك الذين يمدحونا الآن بشفاههم، سنلقى

منهم الأدانة والاهانة اذا فشلنا للحظة واحدة في تحقيق مصالحهم. لكن ليس هكذا الحال مع بهاءالله. فعلى عكس بقية من يحيط بنا من مشاهير الرجال، فهو يجذبك بحب صادق واخلاص لا يمكن للزمن ولا للأعداء تدميره". هل تذكّر ساعات خياره الرهيب، عندما كان بهاءالله ضيفا في منزله، عند تسليمه للجب الأسود كي يحمي مركزه كرئيس لوزراء البلاد؟ هل ما زال يسمع أصوات التراتيل المبهجة لاولئك الشهداء الذين ذبحوا علانية بأبشع الطرق التي لا يمكن تخيلها في ميدان طهران؟

لن نتمكن من معرفة حقيقة ذلك أبداً. فكل ما نعرفه بالفعل هو أن رئيس الوزراء قد تضايق بشدة جراء خروج بهاءالله من سجنه؛ كان يرتعد من منظر ما فعله بمن لم يتلق منه الا الإحسان والمعروف في مناسبات عديدة. لم يستطع البقاء على عدائه في تلك المواجهة. وفي محاولة هزيلة بائسة مكررة منه للتكفير عن أفعاله السابقة، قال لبهاءالله: "إن التحذير الذي سبق وقدمته، أصبح حقيقة. فيماذا تنصحني الآن لأفعله ؟" أجابه بهاءالله: "عليك أن تأمر حكّام المقاطعات بوقف اضطهاد الأبرياء والكف عن نهب ممتلكاتهم وانتهاك حرمة نسائهم. على الحكومة أن تتخلى عن فكرة أن لها الحق في اضطهاد أتباع الباب بسبب معتقداتهم الدينية".

في هذه المرة، لم يتردد ميرزا أقا جان. فأصدر في نفس اليوم أوامره لحكام المقاطعات، بأن يوقفوا كل أفعالهم ضد أتباع الباب.

لم يكن ناصرالدين شاه راضياً عن أطلاق سراح بهاءالله من السجن، ولم يستطع تحمل وجود ضحيته في إيران، لذلك أصدر مرسوماً فورياً لنفيه الى خارج إيران. وفي خلال عشرة أيام، في 12 ينابر 1853، بدأ بهاءالله رحلة النفي التي قادته الى خارج وطنه إلى الأبد، ليصل أخيرا إلى سفح جبل الكرمل "كرم الرب" في فلسطين. وبعدما جرّد من جميع ممتلكاته، أُعطي مؤناً قليلة وملابس لا تلائم رحلة برد الشتاء القاسية عبر جبال إيران الغربية المغطاة بالثلوج الى العراق.

شعر الملك ورجال الدين بحالة من الرضى، فعلى الأقل أنهم تخلصوا من عدوٍ مكروه. فأجنحة المنون تحوم حول دين

بهاءالله. وبدا للعيان هزيمة كلاً من الباب وبهاءالله. وظهر بهاءالله (مخلص البشر وموحد العالم) في خسران كبير.

كان ناصرالدين شاه واثقاً أنه أباد الدين الجديد وأتباعه. لكن الحقيقةً، أثبتت له عكس ذلك. فبإرساله بهاءالله الى المنفى، أكد أن أشعة أنوار التاريخ الساطعة ستتمركز على كل حادثة ارتبطت برحلة نفي بهاءالله، وسيدرس المؤرخون مستقبلاً، كل كلمة وكل فعل خص تلك الرحلة التاريخية.

بنفي بهاءالله، "مجد الرب"، الى العراق، أرض بابل القديمة، دفع الشاه بـ "سجينه" قسرياً الى البقعة التاريخية التي بقربها شاهد حزقيال في رؤياه "مجد الرب"، بجانب النهر القديم "خابور". وبفعلته هذه، أكد ناصرالدين شاه، أن بهاءالله سينفى الى ذات البقعة التي تنبأ بها حزقيال بخصوص "الموعود" الذي سيأتي إلى الأرض المقدسة من "الشرق" عن طريق "البوابة".

... كان بهاءالله في الطريق اليها...

الفصل التاسع

سقوط المملكة الخامسة

(إن رب الجنود قد قضي فمن يبطل، ويده ممدودة فمن يردها)

سفر اشعيا – الأصحاح 14 – الآية 27

الجزء الأول: قاتل! قاتل!

الآن.. حانت الساعة التي يلقى فيها شاه إيران جزاء ما اقترفت يداه. وكما وعده بهاءالله، سيكون قريبا "عبرة للعالمين".

حدث ذلك أثناء الإحتفال العظيم باليوبيل الذهبي الذي نظمه الشاه تمجيدا لولايته. كان يتطلع لتلك المناسبة كأعظم حدث في حياته، وخطط بعناية لتدشين عهد جديد أمل من وراءه تخليد إسمه في التاريخ. كان متأثرا جدا بالحضارة الأوربية. وبخلاف أسلافه، قام بزيارة فرنسا وبعض البلدان الغربية طامحا أن يصفه التاريخ بالمجدد لإيران الحديثة.

لكن التاريخ.. كانت له خطط أخرى..!

ذهب ناصرالدين شاه الى ضريح الشاه "عبد العظيم"، لأداء الصلاة عشية تلك المناسبة التاريخية، وهو يقول في نفسه: "غداً.. سيقوم بحملة يستميل بها عواطف رعيته". وبينما كانت المشاعل تنير سماوات الليل، والرايات ترفرف حاملة ألقاب الملك، والأبواق والصنج والطبول تعلن في كل جانب عظمة وجلال ناصرالدين شاه، ملك إيران.. فجأة.. وبدون سابق إنذار.. امتدت يد القاتل لتضرب ضربتها.. فسقط العاهل الملكي ميتاً على أرض الضريح، مما أفزع وزراءه وحاشيته وشلّ قدرتهم على الحركة من هول المشهد.

ولتأجيل نبأ مصرعه، حملوا جسده الى عربته الملكية، بينما جلس رئيس الوزارة بنفسه الى جانبه متوارياً ليسنده والعربة تجوب الشوارع، بينما الإحتفال الكبير باليوبيل الذهبي ساريا، فالرايات ترفرف والفرق الموسيقية تعزف والجماهير

المحتشـدة تصـدح بالشـعارات الواهيـة لملـك غـير محبـوب ولا محترم، وتنادي بحياة جثة ملك هامدة مسندة.

أصاب الرعب وزراء الشاه غـير مـدركين من سـيكون التـالي، وتبادلوا كلمات ستصبح شعاراً لسياسة العهـد الحـديث: القاتـل! القاتل!

في البداية.. ألصقت تهمـة الإغتيـال بـالمجتمع البهـائي؛ مثلمـا سـبق وحـدث للمسـيحيين في رومـا القديمـة، أو لليهـود تحت الحكم النازي. كان البهائيون هم أول المرتاب بهم وأول الأهداف وأول الضـحايا حين ظهـور أيـة مشـكلة في أي مكـان داخـل المملكة. أما القاتل الحقيقي، فكان الميرزا رضا، أحد أتباع الثائر المعروف سيد جمال الدين الأفغاني الذي كان ألـد أعـداء الـدين البهائي.

لم يستطع أصحاب العقول الشـيطانية الـذين ذبحـوا أكـثر من عشرين ألف تابع لهذا الـدين، التصـديق أن ضـحاياهم لم يقضـوا أيـامهم وليـاليهم بإضـمار البغض والتخطيـط للانتقـام ممن اضـطهدهم، فلقـد كـان ذلـك بالضـبط مـا سـيفعلونه هم، فلم لا يفعله البهائيون؟

كم كان ضئيلا ما يعرفونه عن تعاليم بهاءالله الذي منع العنـف وحـرّم القتـل، عنـدما أمـر أتباعـه: "خـير لكم أن تُقتلـوا من أن تَقتلوا". فتعاليمه أظهـرت التبـاين الواضـح بين إسـتقامة أتباعـه وقسوة وتعصب حكام إيران.

قبل موت ناصـرالدين شـاه بفـترة قصـيرة، ألقي القبض على مبلّغ وشاعر معروف يدعى "ورقاء"، مع ولـده البـالغ من العمـر 12 سنة وسجنا معا في سجن طهران.

فيما بعد، أجـبر حـاجب الدولـة المتـوحش الإبن على الوقـوف ومشاهدته وهو يغمد السيف في أحشاء والده بعدما خـاب أملـه في إجبار ورقاء على طلب الرحمة؛ ثم بـدأ الضـابط الحـانق في تقطيع جسد الأب إرباً أمام عيني الإبن. بعدها.. التفت إلى "روح الله" وسأله: "والآن هل لك أن تنكـر دينـك؟". فجـاء رفض الولـد صارماً: "لن يحدث هذا أبدا!" ومع مشاعر الخيبة والغضب، أخـذ حاجب الدولة حبلاً وخنق الطفل.

لم يكن عجيبا أن يقول بهاءالله في دعوته لأهـل إيـران الـذين اضطهدوا دينه بوحشية، أنه لا يمكن لأي كان أن يطفئ نور اللــه في القلوب بعدما تشتعل بالأيمان، قال:

”ثمّ اعلمـوا يـا ملأ الأعـاجم بـأنّكم لـو تقتلونـني يقّوم الله أحد مقامي وهذه من سنّة الله التي قد خلت من قبل ولن تجـدوا لسـنّته لا من تبـديل ولا من تحويل. أتريــدون أن تطفئــوا نــور اللــه في أرضه أبى اللـه إلاّ أن يتمّ نـوره ولـو أنتم تكرهـوه في أنفسكم”

بدأ إنهيار صرح السلالة القاجارية على رؤوس ملوكها، وبــاءت بالفشل كل الجهـود الـتي بـذلت لتدعيمـه ومنعـه من السـقوط. وراح صدى كلمات النبي أشعيا يتردد عبر القرون الماضية:

"قد كَسر الربّ عصـا الأشـرار، قضـيب المتسـلطين الضـارب الشعوب.. فإن ربّ الجنود قـد قضـى، فمن يبطـل؟ ويـده هي الممدودة، فمن يردّها."

وبسـرعة شـارفت سـلالة ناصـرالدين شـاه على الانقـراض، وإنهارت جميع الجـدران من كـل الجـوانب، وعـاجلا سـيدفن عن آخرهم كل ملوكهم وأمرائهم تحت ذلك الإنهيار.

"هذه الساعة التي لا مرد لها ! "

الجزء الثاني: أمير الظالمين

في إحدى تحذيرات حضرة بهاءالله، أنذر بالمصير المظلم الذي سيلحق بالسلالة الإيرانية، فتفضل قائلا:

"وتسئلون عما أكتسبتم في الحيوة الباطلة وتجزون بما فعلتم وهذا من يوم الذي يأتيكم والساعة التي لا مرد لها"

كان حكام سلالة القاجار، أكثر الملوك مسؤولية في محاولتهم تحطيم الوحي الالهي. فمنذ ساعة ولادة هذه السلالة حتى يوم سقوطها، لم يحاول القادة القاجار ولو لمرة واحدة، تخفيف حدّة مشاعر حقدهم وعدائهم.

لقد بذل بهاءالله ما في وسعه لتنبيه هؤلاء الحكام الى الفرصة التي يكونوا فيها رمزاً للعدالة، وليس للكراهية، فتفضل باللغة الفارسية، ما ترجمته:

"اذا كان ملوك وسلاطين الأرض مظاهر اقتدار الحق جل جلاله قاموا بعمل ما ينتفع به من على الارض سيرتفع نور عهد العدل ويضيء العالم"

لقد ألقى حضرة بهاءالله بمسئولية خطيرة على أكتاف ناصرالدين شاه شخصياً، ووصفه بـ "أمير الظالمين"، فلقد كان المسؤول المباشر عن استشهاد حضرة الباب، والمسؤول المباشر أيضا وبصورة مأساوية عن نفي حضرة بهاءالله وتعذيبه طوال حياته. وفي النهاية، موافقته على القتل الظالم لأتباع الدين الجديد الأبرياء لفترة طويلة.

لقد أمدنا الانجيل مرة أخرى، بالمعاني المدهشة للأحداث المحيطة بقصة بهاءالله. فهل كان ناصرالدين شاه هو "الملك الرهيب" الذي قال النبي دانيال أنه سيظهر في "آخر الأيام"! "الملك" الذي سيدمر "الشعب المقدس"؟ هل هو الملك الذي سيقف ضد "أمير أمراء" الرب؟ هل هو "الملك" الذي "سيسحقه" "مخلّص الأمم" في "زمن البلايا" الذي لم يشهد له العالم مثيلا من قبل، والذي "ينهض" ليحرر "أبناء" الرب؟

أمر واحد مؤكد، أخيراً.. حلّ اليوم الذي يكسر فيه ملك إيران.

إذاً.. فانتظروا ماوعدتم ..

الجزء الثالث: سقوط المملكة الخامسة !

كتب حضـرة بهاءاللـه لأحـد وزراء ناصـرالدين شـاه رسـالة، ووجهها في نفس الوقت، الى العـرش والبلاط الملكي ولشـعب إيران. ورغم تمنيه الرخاء والأمن والسـيادة الأبديـة لهم، إلا أنهم رفضوا هذه النعمة:

"فسـوف يمضـي أيـامكم وأيـام الـذين هم كـانوا اليوم على غرور مبين وتجتمعون في محضر اللـه وتسـئلون عمـا اكتسـبتم بايـديكم وتجـزون بهـا فبئس مثوى الظالمين"

وأوضح، أن مثـل هـذه الأفعـال، لن تجلب لأي شـخص مخلص سوى الندامة:

"فواللـه لـو تتطلـع بمـا فعلت لتبكي على نفسـك وتفر الى الله".

عندما تم تجاهل كل مناشـداته وتحذيراتـه، كتب حضـرته هـذه الكلمات المنذرة بالسوء:

"اذاً فانتظر ما نُـزِّل في آخر هـذه الآيـة المباركـة وهذا وعد غير مكذوب من مقتدر حكيم"

كان اغتيال ناصرالدين شاه، أول علامة على قيام الثورة الـتي ستخلع كل خلفائه وتمحو سلالة القاجار.

كان خليفة ناصر الدين شاه، "موسـى فريدالـدين شـاه"، رجلا ضعيفا متردداَ، أُجبر على توقيع دستور يحدّ من سـلطات الملـك. أما خليفته محمد علي شاه، فبتهوره أطلق شرارة ثورة أطاحت بملكه وعزلته.

وأخيرا.. تولى عرش السلطنة، أحمد شاه؛ شخص نكرة تماماً لم يلتفت لواجباتـه أبـداً؛ فـزادت الفوضـى في البلاد وقـاربت أحوال الدولة المادية الباعثة على الأسى منذ فـترة طويلـة على الإفلاس. وعمليـاً هجـر الملـك مملكتـه، مفضـلاً حيـاة العواصـم الأوروبية على مسئوليات المملكة الثقيلة. وبينمـا هـو في إحـدى

رحلاته المستهترة، قام البرلمان بعزله؛ وبذلك انقرضت السـلالة القاجارية التي اعتلت عرش إيران لمائة وثلاثين عاما.

في عـام 1925، تم توقيـع الوثيقـة الـتي أنهت هـذه السـلالة. وكان هذا الإذلال الأخـير قـد تم في مبـاني الحكومـة الـتي تقـف على مرمى حجر من السـجن الموجـود تحت الأرض حيث حَبس ناصرالدين شاه فيـه حضـرة بهاءاللـه. ومن هـذا السـجن.. كـان ناصرالدين شاه "أمير الظالمين" يسمع أصـوات مناجـاة حضـرة بهاءالله وأتباعه المسجونين لربهم في ساعات الفجـر، فيزعجـه تأكيدهم على انتصارهم المستقبلي:

"وعلى الله فليتوكل المتوكلون"

أوفى حضرة بهاءالله بوعده. وسقطت المملكة الخامسة.

الفصل العاشر

عكـــاء

الجزء الأول : الإعـلان

لم يــترك نفي بهاءاللـــه إلى العــراق داخـــل الإمبراطوريـــة العثمانية التركية، ناصرالدين شاه ولا رجال الـدين الإيـرانيبن في سلام. ففي العراق توجد مجموعة من المزارات الإسلامية الـتي اعتاد الإيرانيـون زيارتهـا. لـذا قلـق رجـال الـدين الإيرانيـون من شروع مجموعة المنفيين الصغيرة تلك في استقطاب أعـداد من الحجاج الى الدين الجديد.

لـذلك بـدأت حكومــة الشــاه في زيــادة الضـغط على وزراء السلطان في اسـتنبول، لنقـل السـجين الى أبعـد مـا يكـون عن الحـدود الإيرانيــة. وبــرغم العــداء بين الأمبراطوريــتين التركيــة والفارسية، إلا أن اضطهاد المنفيين كان أحد النقاط القليلة التي اتفق عليها هؤلاء الطغاة. وبنـاءَ على ذلـك، تم أبلاغ بهاءاللـه في 22 أبريل 1863، بضرورة المغادرة فوراً والانتقال مـع مرافقيـه إلى استنبول عاصمة الامبراطورية.

قبل تلك الرحلة القسرية، قـام بهاءاللـه بـأول إعلان لرسـالته السماوية، وقال أن يوم "قطيع واحد وراع واحد" قـد حـلّ، وأنـه هو الموعود المنتظر لجميع أتباع أديان الأرض.

تم هـذا الإعلان التـاريخي بحديقـة في ضـواحي مدينـة بغـداد آنذاك، خلال الإثني عشر يوما، بين 21 أبريل و 2 مـايو من عـام 1863. والأن في هذا اليوم، يحتفل البهائيون بهذه المناسـبة في جميع أنحـاء العـالم، باعتبارهـا أقـدس وأبهج الأعيـاد في التـاريخ البهائي على الاطلاق، وتسمى عيد الرضوان.

تتابعت أفواج الزوار من بغـداد الى تلـك الحديقـة المشـهورة، ليتمكنوا من وداع ذلـك الزائـر الـذي عـاش بينهم قرابـة العشـر سنوات، وأحبوه بشدة. وأنه لمن الصعب التصديق أنهم أنفسـهم الذين صدقوا بسـهولة منـذ فـترة وجـيزة الإفـتراءات والأكـاذيب التي نشرها عملاء ناصرالدين شاه عن هؤلاء المنفيين.

وفي يوم مغادرته لبيته متوجها نحو حديقة الرضوان، احتشدت جموع المودعين من الرجال والنساء والأطفال قـرب منزلـه في

بغداد، جاءوا من جميع الأنحاء يبتغون نظرة أخـيرة من حضـرته. موظفـوا دولـة ورجـال دين وتجـار وأعيـان، إضـافة الى الفقـراء والأيتام والمتسولين والعامة، الجميع راقبـوا رحيـل بهاءاللــه عن مدينتهم بعيون دامعة ونواح؛ وكتب أحد المؤرخين الإيرانــيين عن تلك الساعات الحزينة، قال: "كـانت الـدموع تنهمـر مثـل أمطـار الربيع".

أما الحشود الهائلة التي أحاطت بهاءاللــه في يــوم رحيلــه عن حديقة الرضوان وعن بغداد، فكانت أكـثر تـأثراً وهياجـاً. فبهيكـل الجلال والعظمــة، امتطى بهاءاللـــه جــوادا مطهمــا أصــيلا كميت اللون اشتراه أحباؤه لرحلته، مخترقاً الحشود الباكية المتزاحمــة حوله من جميع الجهات. هكـذا بـدأ بهاءاللـه المرحلـة الأولى من رحلة نفيه التاريخية الى القسطنطينية.

غادر بهاءالله وادي نهري دجلة والفرات الى الأبد، تلك البقعــة التي شاهد فيها النبي حزقيال رؤيا "مجد الرب"؛ وهاهو الآن يبدأ رحلته غـير المباشـرة الى عكـاء، ليصـل في النهايـة الى البقعـة التي تنبأ حزقيال أن "مجد الرب" سيأتيها من "الشرق".

كانت سمعة بهاءالله كمبلّـغ ومـربي مقـدس، تسـبقه الى كـل مكان، فلازمته مظاهر التبجيـل والاحـترام طـوال رحلتـه شـمالا، كمــا ســبق ولازمتــه أثنــاء اقامتــه في بغــداد. رحلتــه الى مينــاء صامصون على البحر الأسود استغرقت مائة وعشرة أيام؛ خلالها كــانت الوفــود تســارع للخــروج لانتظــاره على الطــرق مرحبــة بقدومه وهو يمر بقراها ومدنها، بينما تشيّعه وفود أخرى لتوديعـه الى مسافات طويلة خارجها.

أخـيرا.. وصـل بهاءاللـه وأصـحابه الى البحـر الأسـود، وعنـدما شاهد من فوق هودجه شاطئ البحر، كتب لوحاً مؤثراً أشار فيــه الى الأحزان "العميقة المؤلمة" التي تنتظره.

ركب بهاءالله ومن معـه سـفينة بخاريـة تركيـة عـابرين البحـر الأسود، وبعد ثلاثة أيام وصلوا ميناء القسطنطينية الشهير. كانت عاصــمة الدولــة التركيــة تلقب "قبــة الإســلام". وبســبب ظلم وطغيان السلطان عبدالعزيز، سيصـفها بهاءاللـه مسـتقبلا، بأنهـا "عرش الظلم"؛ كـان يعلم أن سـنوات الراحـة والهـدوء القليلـة

التي تمتع بها في العـراق على وشـك الانتهـاء، فـأمواج الشـدائد ستبدأ من جديد.

مـا زالت هنـاك في الأفـق، رحلـة أخـرى لبهاءاللـه، في هـذه المـرة سـتكون عـبر البحـر المتوسـط، إضـافة الى رحلـتي نفي ومحاولات مستمرة للقضاء على حياته، ستبوء جميعهـا بالفشـل. وسيصل في السنين المقبلة الى أرض فلسطين وسيمشي على سفح "جبل الرب".

وكما وعد إشعيا، هاهو بهاءالله يسافر الى الأراضي المقدســة "عن طريق البحـر". وفي أصـحاح كامـل مليء بتمجيـد "موعـود آخـر الزمـان"، يعلن إشـعيا، أن هـذا "المختـار" سـليل "نسـل ابراهيم"، هو "الرجل الصالح القادم من الشرق" الذي يبعثه الله "ليحكم على الملوك"، والـذي "يمضـي بأمـان" الى مقصـده في فلسطين "حتى ولو لم يسير على قدميه". سـافر بهاءاللـه كمـا ورد في رؤيا العهد القديم على لسان النبي ميخا، "من بحــر الى بحر"، في طريقه من الشرق الى الأرض المقدســة حيث يخلص البشرية......ولكن من يقرأ ويفهم ويتقدم لمساعدته؟!

شحب وجهه الصدر الأعظم

الجزء الثاني:"عرش الظلم"

بعد رحلة طويلة مرهقة.. سمح لحضرة بهاءالله البقاء في العاصمة القسطنطينية أقل من خمسة شهور فقط. فالسلطان العثماني، لم يحتمل سماع أخبار ما قوبل به حضرة بهاءالله من آداب الاحترام ومظاهر التبجيل أثناء الطريق في رحلته من بغداد، فهو يعتقد انه الشخص الوحيد الذي يستحق مثل هذا الاهتمام من شعبه.

وبسرعة تم نفي حضرته مرة أخرى. كان هذا النفي القاسي المفاجئ، يمثل "التعاون المؤقت بين الحكومتين التركية والفارسية" ضد رجل واحد ومجموعة أتباعه الصغيرة بزوجاتهم وأولادهم حيث كانوا أقل من ثمانين شخصا. في هذه المرة، لم يقبل حضرة بهاءالله الفرمان ببساطة، بل رد عليه في ذات اليوم برسالة شديدة اللهجة ارسلها مع "شمسي بيك"، المراسل الخاص لعالي باشا رئيس وزراء السلطان حيث سلمها له باليد شخصيا. ولقد ترك لنا المراسل هذه الرواية باعتباره شاهد عيان لهذا الحدث.

(لم أكن أعرف فحوى الرسالة، إلا أن الصدر الأعظم ما كاد يلقي عليها نظره، حتى شحب وجهه وامتقع لونه، وقال: "كأني بملك الملوك يصدر أوامره لأصغر ولاته يرشده إلى المسلك القويم". ثم بدأت حالته تسوء إلى درجة أني فضلت الانسحاب" [94]

تم تنفيذ أمر إبعاد حضرة بهاءالله مع عائلته وأصحابه غير المستعدين الى منفاهم الثالث على التوالي وفي الحال. فركب بعضهم في عربات، وركب بعضهم ظهور الدواب، بينما جلس آخرون صامتين بين بقايا ممتلكاتهم فوق عربات تجرها الثيران وسط برد شتاء قارس.

كان صباح أحد أيام شهر ديسمبر شديد البرودة عندما أمرهم الضباط الأتراك وجنودهم بالمسير قدماً. ولقد أوضح حضرة بهاءالله بنفسه أن القسوة والاذلال اللذين عومل بها ورفاقه خلال رحلة النفي تلك، لم يكونا ضروريين ولا يمكن غفرانهما.

كما ذكر أن لا أحد من رفاقه كانت عليه كسوة مناسبة تقيه ذلك الزمهرير.

وكتب المؤرخ الإيراني نبيل زرندي عن تلك الأيام: "كان شتاء تلك السنة قارساً بدرجة لم يعهد المعمرون لها مثيلا، فقد تجمدت الحيوانات ونفقت بين الثلوج".

وترك أحد رفاق حضرة بهاءالله روايته عن تلك الرحلة، قال: "للحصول على الماء من الينابيع، كان لزاما علينا أن نشعل بجوارها نارا عظيمة لمدة ساعتين بالضبط حتى يذوب الجليد."

لذلك لم يكن مدهشاً أن خاطب بهاءالله السلطان عبدالعزيز بلهجة قوية:

"أن يا أيها السلطان اسمع قول من ينطق بالحق.. إنك ظل الله في الأرض فافعل ما يليق لهذا الشأن المتعالى العظيم.. اسمع يا سلطان ما ألقينا على حضرتك ثم امنع الظالمين عن ظلمهم ثم اقطع أيديهم عن رؤوس المسلمين. ولا تنس حكم الله في كل ما أردت أو تريد"

وفي عشية رحيله من القسطنطينية، كتب حضرة بهاءالله أيضاً لسفير إيران الذي حرض السلطات التركية على تعجيل ابعاده وأشعل مخاوفهم من المنفيين، وذكّره بأتباعه الذين زاد عددهم عن العشرين ألفاً ممن ضحوا بحياتهم لهذا الدين في إيران. وأوضح له بعدم جدوى محاولاته في إخماد نار الحب الإلهي في قلوب الناس باضطهادهم.

"ماذا استفدت أنت وأمثالك من قتلكم الكثير من المضطهدين كل عام وصبكم البلايا على رؤوسهم حين زاد عددهم مائة ضعف.. تعالى أمره تعالى عما تكيدون".

ثم أعطى بهاءالله وعداً سيحققه الوقت والتاريخ لاحقاً:

"إعلم جيداً، لو اتحدت جميع حكومات الأرض لسلب حياتي وحياة من يحملون هذا الاسم "بهائي"، فلن يخمدوا هذا النور الإلهي، وسيطوق جميع ملوك الأرض، بل كل ما خلق من الماء

والطين.. إن كـل مـا سـيحل بنـا، سـيكون سـبب عظمتنا، ويظهر ما سيحل بهم من خسران مبين.

سافر حضرة بهاءالله وأتباعه إلى أدرنة لمدة اثنى عشر يومـا، وسـط الثلـوج والأمطـار والأعاصـير، وفي بعض الأحيـان أجـبروا على السـفر ليلا. كـانت مدينـة أدرنـة هي أبعـد نقطـة وصـلها بهاءالله في نفية المتكرر، فسـمّاها "السـجن البعيـد". كـان أول مؤسـس لـدين سـماوي، تطـأ قـدماه الـتراب الأوربي من بين مؤسسي أديان الله المنزلة العظيمة، وبذلك ربطت رسـالته بين الشرق والغرب. وكان أول رسل الله يعلن عن ديانته من الغرب كما أعلنها من الشرق.

سجن ناصرالدين شـاه حضـرة بهاءاللـه في الحفـرة السـوداء في مدينة طهران مسـقط رأسـه، حيث بـدأت هنـاك مهمتـه، ثم نفي إلى مكـان آخـر لكي يسـكتوه ويضـعفوا تـأثيره. وفي وادي دجلـة والفـرات الشـهيرين، أعلن حضـرته بصـراحة الى أتباعـه وللعالم عن هدف مهمته. وخوفـاً من تنـامي هيبتـه وقوتـه، تـآمر ناصرالدين شاه مع السلطان عبدالعزيز لنفيه إلى القسطنطينية بعيدا عن دائـرة أقربائـه وأصـدقائه وأتباعـه؛ فأرسـلاه إلى قـارة أخـرى، الى أوروبـا. وهنـاك.. في عقـر "عـرش الظلم"، اسـتهل حضــرته أول مرحلــة لإعلان دعوتــه الى العــالم في العاصــمة استنبول.

والآن.. وبعد أن أبعد إلى منفى آخر بعيـد جـداً، ظنّ هـؤلاء أن قوته ستتلاشى في التأثير على أي شـخص ذي شـأن. وسـيقطع عن العالم تماماً.

وعلى عكس ما خطـط لـه الملـوك هنـاك في أدرنـة، وصـلت رسالة حضـرة بهاءاللـه إلى أوجهـا، حيث كتب ألواحـه التاريخيـة لملوك ورؤساء العالم، فنزلت كالفيض المنهمر تعلن عن رسالته الى العالم بشكل غير مسبوق في تاريخ الأديان.

كل اضطهاد وكل قمـع خططـه ونفـذه هـؤلاء الملـوك لتثبيـط عزيمــة بهاءاللــه، كـان يتبعــه هطــول غيث أعظم من التعــاليم والروحانيـات رغم معاناتـه وآلامـه الجسـدية. وثبت أن كـل مـا ابتدعوه كان مقدمة فقط لاعلان مشيئة الله للبشر.

إن المعاناة الكبرى، والإعلان العظيم.. آتيان قدماً.

" الساكن في السموات يضحك .." (مزامير)

الجزء الثالث: النفي الأخير

ظل بهاءالله سجينا ومنفيا ما يقـرب خمس سـنوات في ذلـك الإقليم النائي بمدينة أدرنه، تعرض خلالها لثلاث محاولات للقضاء على حياته. فلقد حاول أعـداؤه دس السـم لـه مـرتين، وتـآمروا على ذبحه في الحمـام العمـومي. إلا أن جميـع هـذه المحـاولات باءت بالفشل.

والآن التفت بهاءاللـــه الى مهمـــة كشـــف التعـــاليم الإلهيـــة لحكومات وشعوب الأرض على حـد سـواء. فكتب المـؤرخ نبيـل زرندي عن أهم كتابات بهاءالله وأشملها في تلك الفترة وكميتها، قائلاً: "كان هناك عدد من الناسخين انهمكوا ليل نهار في تـدوين آثار الوحي النازلة، ومع ذلك عجزوا عن اتمام مهمتهم".

كتب بهاءالله خلال حياته أكثر من مائة مجلد تتعلق بالمشـاكل المتنوعة التي تواجهها البشرية ومجتمعاتهـا. كـانت فـترة أدرنـة، واحدة من أكثر الفترات إثماراً في مجمـل مهمتـه الإلهيـة. وأكـد بنفسه عن غزارة كتاباته خلال تلك الشهور في تركيا، قائلاَ:

"عجز الكتّاب عن تحريـر مـا نـزل في هـذه الأرض (أدرنة) فظل أكثره بلا تحبير"

وأعلن في مناسبة أخرى:

" تالله لقد نزل في تلك الأيام مـا يعـادل كـل مـا أنزل على النبيين من قبل"

كـانت هـذه الكتابـات جـزءاً من الإعلان التـاريخي لدينـه الى ملـوك وحكـام الأرض. وكـانت بداياتـه في القسـطنطينية عنـدما أرسل رسالته القوية لـرئيس وزراء السـلطان عبـدالعزيز والـتي تلاها لاحقاً المرسوم الملكي بنفيه الى أدرنة، ثم بلغ ذروته خلال إقامته في أدرنه.

هنـاك.. كتب بهاءاللـه أكـثر رسـائله خطـورة الى الـرؤوس المتوجة في العالم. "فلأول مرة وجه كلماته الى عمـوم الملـوك في الشـــرق والغـــرب". حـــذرهم فيهـــا بـــأن " العقـــاب الإلهي سيأخذهم من كل الجهـات"، اذا فشـلوا في تقـدير مسـؤولياتهم

تجاه أهمية المبادىء الروحية والاجتماعية الجديدة التي أوحى بها الله لإتحاد العالم. وتنبأ بأن الله:

"سوف يرفع أمره بين السموات والأرضين ولو لم يتوجه إليه منهم أحد"

إن من أمهل نفسه لتأمل وفهم كلماته وتعاليمه، إهتز من أعماقه، فجوهر رسالته لملوك ورؤساء العالم وسكانه، يمكن العثور عليها في تلك الآثار المباركة التي انهمرت باستمرار من قلمه الأعلى خلال سنين أدرنة. كانت العدالة الاجتماعية أساس معظم بياناته التي أصدرها إلى قادة الأمم. فقد ناشد باستمرار أهل السلطة لحماية وحفظ الفقراء، وشجعهم على حماية المحرومين وغرس ورعاية الأمل في قلوب المضطهدين، حيث تفضل:

"يَا أَيُها المُلُوكُ إن الفقراء أمانات الله بينكم، إياكم أن لا تخانوا في أماناته ولا تظلموهم ولا تكونن من الخائنين."

وكتب في مكان آخر:

"خبروا الأغنياء بأنين الفقراء في الأسحار الفقر عما سوى الله فنعمة عظيمة لا تحتقرها، لأن في نهايتها يبدو الغنى بالله"

هذه "الفترة المتألقة" في دعوة بهاءالله والتي امتلأت بنصائحه لحماية شعوب العالم، ستبقى الى الأبد "ذروة" ولايته على الارض. حيث حث خلالها قادة العالم على وضع برنامج ضد الفقر ينهي تماما الظلم الناتج عن الفرق الشاسع بين الفقر المدقع والغناء الفاحش؛ كان ذلك منذ مائة عام مضى. فكتب:

"أَنِ اسْتَمِعُوا مَا يَنْصَحُكُمْ بِهِ القَلَمُ الأَعْلَى لَعَلَّ تَسْتَرِيحُ بِهِ أَنْفُسُكُمْ ثُمَّ الفُقَرَاءُ وَالمَساكِينُ، نَسْأَلُ اللهَ بِأَنْ يُؤَيِّدَ المُلُوكَ عَلَى الصُّلْحِ إِنَّهُ لَهُوَ القادِرُ عَلَى ما يُرِيدُ"

خلال أيام أدرنه العصيبة، نهض بهاءالله "بكل اقتدار" ليعلن لجميع قادة الأمم في الشرق والغرب من الذين يمسكون زمام السلطات الدنيوية بأيديهم، عن الدعوة التي عُهِدت إليه.

ورغم ثقل الأحزان والمعاناة من آثار آخر محاولة اعتـداء على حياته، كان بهاءالله مـدرك تمامـا أن هنـاك نفي آخـر جديـد على وشك الحدوث. ورغم كل هـذه الصـعوبات والمخـاطر، بـدأ دينـه خلال هذه الفترة يسطع "في أوج بهائه" ويظهر قوته الشاملة.

بدأت الحكومة التركيـة الآن بالاستسـلام تمامـا للضـغط الـذي يمارسه السفير الإيـراني، فقـررت ارسـال المنفـيين الى مكـان يـوفر فيـه الانعـزال وسـرعة الهلاك.فصـدر مرسـوم يـأمر بنفي بهاءالله للمرة الرابعة إلى مستعمرة العقاب الرهيبة في عكاء.

فجأة.. قامت السلطات بملاحقـة واعتقـال أتبـاع بهاءاللـه من منــازلهم ومن شــوارع أدرنــة، وتم اســتجوابهم وتجريــدهم من أوراقهم الرسـمية وزجهم في السـجن، واسـتدعوا لعـدة مـرات للمثول أمام السلطات لسؤالهم عن العدد الحقيقي لأفراد عائلة بهاءالله والأحيـاء، وانتشـرت الشـائعات في المدينـة، أنـه سـيتم تفريقهم الى أماكن مختلفة أو قتلهم بسرية.

أكــد الــوزراء للســلطان عبــدالعزيز، أنــه لا بهاءاللــه ولا دينــه يمكنهمـا النجـاة في أجـواء عكـاء الموبـوءة. فلقـد كـانت مدينـة الحصن هذه من أكثر سجون الإمبراطورية التركية هـولاً. وشـعر مستشارو السلطان بالثقة من فنـاء بهاءاللـه لا محالـة في ذلـك المكـان الحقـير. في الحقيقـة.. كـانوا يتقمصـون لهم أدواراً في المســرحية الإلهيــة الــتي تنبــأ بهــا ووصــفها الأنبيــاء الســابقون. فبنفيهم بهاءاللـــه، ظنّ أعدائـــه أنهم ينفـــذون أوامـــر حـــاكمهم السلطان عبـدالعزيز، بينمـا في الحقيقـة.. كـانوا أدوات لتحقيـق "الوعود" الإلهية التي وردت في الكتب المقدسة منذ أمد بعيد.

لم يكن أصحاب بهاءالله حتى آخر لحظة قبـل مغـادرتهم أرض تركيا، عـارفين بمكـان ارسـال حضـرته. إلا أن بهاءاللـه، "جمـال القدِم"، "محور العديد من النبؤات المدهشة والمثيرة في الكتب المقدسة السابقة"، كان مطلع تماما على مكان النفي المقصود منذ عدة سنوات.

بالعودة الى السنين الأولى لنفي بهاءالله إلى أدرنـة، نجـد أنـه قد نـوّه بالفعـل لوصـوله المسـتقبلي الى مدينـة الحصـن عكـاء، "باب الرجـاء" للبشـرية. وكتب عن انتصـار دينـه العـالمي الـذي سيعقب ذلك الوصول التـاريخي. وخلال تلـك السـنين الأولى في

تركيا، ألمح الى أهمية ومغزى ذلك الحدث التاريخي المستقبلي للنزول في عكاء. لقد كانت كلماته نبوءة في الواقع. كتب:

"وجدنا قومًا استقبلونا بوجوه عزّ درّيًّا.. وكان بأيديهم أعلام النّصر إذن نادى المنادِ فسوف يبعث الله من يدخل النّاس في ظلل هذه الأعلام "

ملحوظة: بعد مرور مائة عام، وبينما كان مؤلف هذا الكتاب حاضرا في احتفال الذكرى المئوية لوصول حضرة بهاءالله للأرض المقدسة. شاهد تحقق نبوءة حضرة بهاءالله، فلقد بدأت تصل الأخبار من جميع جهات الأرض معلنة عن دخول أعداد كبيرة من المؤمنين الجدد تحت لواء دين بهاءالله من أمريكا، آسيا، أوروبا، أمريكا الشمالية والجنوبية، أستراليا، جزر الباسيفيك، المحيط الأطلسي والهادي، والبحر المتوسط والكاريبي من جميع الأعراق والشعوب وخصوصا من شباب العالم في أكثر من ثلاثين ألف مركز موزعة في كل اقاليم العالم تقريبا. حقاً.. لقد "انضمت" معظم أجناس البشر في هذا اليوم تحت "لواء" دين بهاءالله.

" قل للسلطان سوف تخرج هذه الأرض من يديه"

الجزء الرابع :- الرحلة عن طريق البحر

في 12 أغسطس 1868م، بدأت رحلة بهاءالله وعائلته البرية إلى غـالبيولي، واسـتمرت أربعـة أيـام، فكـانت المرحلـة الأولى لنفيهم النهــائي. كــان يــرافقهم نقيب من الجيش وكتيبــة من الجنود؛ ولقد توقفت المجموعة في عدة مدن أثناء الطريق.

وفي "كاشانية"، بدأ حضرة بهاءالله بأشهر رسالة من رسـائله لملوك الارض، وقد أتمها بعـد مـدة قصـيرة في "جيـاور كيـوي". وقبل مغادرة تركيا، أوضح أنه لن ينسى هـذه الأرض، وأكـد ذلـك بقوله:

"قـل قـد خـرج الغلام من هـذه الـديار وأودع تحت كل شجر وحجر وديعة سوف يخرجها الله بالحق"

وقد ظهر مغزى هذه الكلمات سريعاً.

وصل بهاءالله ومرافقوه أخيرا الى ميناء غالبيولي على البحـر، حيث قضوا فيها ثلاث ليالي، وكانت هذه آخر محطـة وقـوف في تركيا. وحتى في تلـك السـاعة الأخـيرة، أعطى حضـرة بهاءاللـه فرصــة أخــيرة للســلطان عبــدالعزيز، كي يتــوب عن أفعالــه الماضية، من خلال رسالة شفوية أرسلها مع ضابط تركي يـدعى عمر. طلب فيها حضرته من السلطان تـدبير مقابلـة معـه لمـدة عشرة دقـائق، حـتى يتفحص ديانتـه ويقـرر كيفمـا يشـاء، اذا مـا كانت من عند الله أم لا.

رفض هذا الاقتراح، كما سبق ورفضت جميع محاولاته لمقابلـة الملوك أو وزرائهم أو رجال الدين.

أعد بهاءالله نفسـه للمغـادرة الى عكـاء، المدينـة الـتي كـانت يوما ما جـزءاَ من الأرض القديمـة لكنعـان، وطبقـا لمـا جـاء في الكتاب المقدس، انهـا الأرض الـتي سـيرثها في آخـر الأيـام أحـد أبناء "ذرية" إبراهيم.

ينحدر بهاءالله من سـلالة النـبي ابـراهيم من زوجتـه الثالثـة " قتــورة"؛ وكم هي لطيفــة وجميلــة قصة ابــراهيم "ونســله"

بهاءاللــه؟ وكم تتفــق مهمتيهمــا الإلهيــتين معــاً؟ وكم تتشــابه قصتيهما بشكل ملفت للنظر؟

في وادي نهري دجلة والفرات، نـادى ابـراهيم بوحدانيـة اللـه، وفي نفس الوادي نادى بهاءالله بوحـدة جميـع الأديـان والأعـراق والشعوب. نُفي إبراهيم من ذلك الوادي الى أرض كنعان، وتبعـه بهاءالله في ذات النفي إلى نفس تلك الأرض حيث أكمل تعاليمه وأوامره لخلاص كل البشرية.

أعلن بهاءالله في لوح أنزله عشية فـترة نفيـه الى مسـتعمرة القصاص عكاء:

" هـذا يـوم لـو أدركـه الخليـل ليخـر سـاجداً على الارض قـائلا: "قـد اطمـأن قلـبي يـا إلـه من في ملكـوت السـموات والأرضـين وأشـهدتني ملكـوت أمرك وجبروت اقتدارك".

حـانت سـاعة مغـادرة بهاءاللـه لـتراب أرض أوربـا. وقبـل أن يصرف حضـرته من معيتـه "حسـن أفنـدي"، آخـر ضـابط تـركي رافقه من أدرنة، حمّله رسـالة أخـيرة للسـلطان عبـدالعزيز تنبـأ فيها:

" قل للسلطان سوف تخرج هذه الأرض من يـده، وسوف تضطرب الأمور"

في هذه اللحظة.. أراد حضـرة بهاءاللـه أن يعـرف السـلطان، أنه لا يتكلم كسجين أو منفي، بل "كرسول إلهي". كان يخــاطب الملك بنفس السلطة التي تحـدث بهـا موسـى وعيسـى ومحمـد من قبل.

سجل آقا رضا هذا المشهد للأجيال القادمة:

وأضاف حضرة بهاءالله الى ما سبق قائلاً: "لست أنا قائل هذا بـل إنـه هـو اللـه" .كـان حضـرة بهاءاللـه يرتـل الآيـات في تلـك اللحظـات بصـوت بلـغ مسـامعنا ونحن في الطـابق الأول. فلقـد قيلت بقوة وشدة، خيّل لي معها أن أسـاس المـنزل بذاتـه كـان يهتز ويرتجف“.

ركب بهاءالله السفينة متوجهـا إلى عكـاء مـاراً بمصـر. وفـوراً أبلغ السفير الإيـراني في تركيـا القنصـل الإيـراني في مصـر، أن

الحكومـة التركيـة قـد رفعت حمايتهـا عن أتبـاع بهاءاللـه. كـانت حقيقـة جـوهر هـذه المعلومـة المرسـلة عن طريـق ذلـك العـدو الدائم، هي: "أنت حرٌ الآن لمعاملتهم كيفما تشاء".

ومـع كـل مـا سـبق ونـزل على حضـرة بهاءاللـه وأتباعـه من المصاعب والمحن، إلا أنـه راح يحـذر أصـحابه ومـرافقي رحلتـه الى منفاه الأخير من المخاطر والبلايا العظيمة التي سـتحل بهم مستقبلاً. وقال لهم، إن كل من لا يجد في نفسه الجرأة والقدرة على مواجهتها، فله الحريـة المطلقـة للمغـادرة والتوجـه الى أي جهـة يختارهـا. ثم عـاد وكـرر تحـذيره لمن اختـاروا مرافقتـه وأخبرهم أنه سيكون من المستحيل عليهم المغادرة مستقبلا:

"إن هذه الرحلة تختلف عن أية رحلة أخرى"

"لو طار طائر فوق عكا لسقط ميتا"

الجزء الخامس :- ملك البهاء يدخل البوابة

نقــل بهاءاللــه ومرافقــوه في 21 أغســطس 1868م، على سـفينة بخاريـة نمسـاوية لشـركة "لويـد"، متجهـة نحـو الأرض المقدسة؛ وخلال ابحارها، مرت أولا في مـودلي وأزمـير، ثم في ميناء الاسكندرية حيث تم نُقـل حضرته مـع أصـحابه الى سـفينة أخرى مرت فيما بعد في بورسعيد ثم توجهت أخيرا الى يافا في فلسطين.

وفي 31 أغسطس، رست على جانب رصيف ميناء حيفـا عنـد قدم جبل الكرمـل "وكـر الانبيـاء" و "كـرم اللـه". وأخـيرا وصـل بهاءالله الى "موطنه"!

جـاء "مجـد الـرب"، "عن طريـق البحـر"، كمـا وعـد الكتـاب المقـدس، راكبـاً البحـر الأسـود والبحـر الأبيض المتوسـط حـتى وصـل محطتـه الأخـيرة "عش كـل الأنبيـاء". إنهـا أرض "قدّسـها كتـاب موسـى، ومجـدها أحبـار العبرانـيين وقضـاتهم وملـوكهم وأنبياؤهم بحيـاتهم وأعمـالهم" وهي المكـان الـذي اجتمـع فيـه زرادشت مع بعض أنبياء بني إسـرائيل؛ ثم تقدسـت بكونهـا مهـد المسيحية؛ كما ارتبطت بالإسراء الليلي لرسول الإسـلام محمـد؛ فهي الأرض الــتي جمعت بين مؤسســي الرســالات اليهوديــة والزرادشتية والمسيحية والإسلام، واليوم ترتبط مع المبشر ومع المؤسس للديانة البهائيـة، البـاب وبهاءاللـه حيث ترقـد رفاتهمـا هناك.

وأشار حزقيال إلى عكاء باعتبارها "البوابة" التي سـيأتي منهـا "مجد الرب" الى "فلسطين" من "الشرق". وأخيرا .. ها هو قــد أتى.

ولم يصف داوود عكاء في مزامـيره فقـط على أنهـا "المدينـة القوية"، بل تنبأ أيضا أن "مجـد الـرب" "بهـاء" سـيأتي من خلال "البوابات" ولن يبقى "صامتاً". وأخيرا .. ها هو قد أتى.

كما وصف هوشع مدينة عكاء أنها "باب الرجـاء"؛ وتنبـأ إشـعيا أنها ستصبح ملجئاً آمناً لـ "قطيع" الرب في آخر الايام.

وها هو الرسول العربي محمد الذي سكن أتباعه مدينة عكاء يصف هذه المدينة التاريخية بأنها: "مدينة بالشام اختصها الله برحمته"، "مدينة على شاطىء البحر".. "بيضاء حسن بياضها عند الله".

من خلال تصرفات أعدائه، كان على بهاء الله "منفيّ بغداد والآستانة والقسطنطينية وأدرنة"، أن يقضي الثلث الأخير من مجمل حياته، وأكثر من نصف مدة ولايته الأرضية في تلك الأرض المقدسة.

كما كان "عبدالبهاء" ابن بهاءالله أيضا، سجينا في تلك الأحداث التاريخية؛ وكتب عن وصول بهاءالله إلى تلك الأرض قائلا: "إنّه لمن المحال أن يتصوّر العقل كيف حدث هذا النّفي والتّبعيد حيث يهاجر الجمال المبارك من إيران ويضرب خيمته في الأرض المقدّسة"

قام شاه إيران وسلطان تركيا وهما أعلى سلطتين دنويتين حاكمتين لمصير المسلمين الشيعة والسنّة، بسجن بهاءالله فيما اعتبروه سجنه الأخير، لقد أودعوه في مدينة بائسة حتى انها كانت توصف بـ "عاصمة البوم"؛ وكان جوّ مدينة القلعة غير صحي وملوث تتفشى فيه الملاريا والتيفود والدوسنتاريا. كان هناك مثل يقول: " لو طار طائر فوق عكاء لسقط ميتاً".

لو عدنا بالنظر الى محاولات الملوك لتدمير بهاءالله، نجدها محاولات محزنة، فالكتب المقدسة للديانات الرئيسة أوضحت كيف انتهت كل هذه الجهود بخيبة أمل، فبالرغم من تظافر وتكرار جهود الملوك ورجال الدين للقضاء عليه، الا أنه ظهر في النهاية على جبل الرب المقدس، "الكرمل".

لقد فشل حكام العالم في جميع المراحل؛ نعم.. كانوا قادرين على إضافة المزيد لكأس أحزان بهاءالله. لكنهم كانوا واهنين في منعه من اتمام مهمته المتنبأ عنها. كل خطوة خلال الطريق، كانت تحقق بالفعل نبوءات كتب أولئك الملوك المقدسة رغماً عنهم، حتى وصل في النهاية إلى "الربوة المقدسة".

هذه القصة بذاتها، أي مأساة هؤلاء الملوك كفيفي البصيرة، أنذر بها كتاب المزامير بصورة دائمة. فلقد أوضحت النبؤة:

"قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معـا على الـرب.. السـاكن في السموات يضـحك. الـرب يسـتهزئ بهم، حينئـذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه.. أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبـل قدسـي.. فـالآن يـا أيهـا الملـوك تعقلـوا، تـأدبوا يـا قضـاة الأرض.. طوبى لجميع المتكلين عليه"

بغض النظر عن عدد المرات التي عرض فيها حضرة بهاءاللــه مسـاعدته للسـلطان الـتركي. إلا أن السـلطان فشـل في وضـع ثقته في بهاءالله. ومشـى قضـاة ووزراء وحكـام تلـك البلاد على خطى مليكهم، فلم يكونوا حكماء في أحكامهم. كـان سـقوطهم واختفاؤهم من التـاريخ المعاصـر حـتى ذلـك الـوقت، ممنهج بيـد غيبية إلهية.

"ويقتلون كلهم إلا واحداً منهم ينزل في مرج عكاء"

الجزء السادس : "المأدبة الإلهية"

بوصول حضرة بهاءالله الى عكاء، بدأ الطور الأخير والنهائي لفترة "الأربعين سنة" من ولايته؛ هذه الفترة بالذات، أكد عليها الكتاب المقدس مراراً. لقد جاء بهاءالله الى قلب اليهودية والمسيحية، والآن أوصله النفي الى أحد "معاقل" الإسلام.

من الصعب ادراك جهالة هذين الحاكمين المسلمين، السلطان عبدالعزيز وناصرالدين شاه، اذا أخذنا في الاعتبار كثرة الدلالات المشيرة الى جميع هذه الأحداث في كتبهم المقدسة. فعلى خلاف ملوك المسيحية، كان حكام المسلمين، يطبقون في كل يوم جزءا من النظام الدينى، حسب ما تشير اليه أسماؤهم وألقابهم، وكان سلوكهم يدلّ بوضوح على حقيقة اخلاصهم في إيمانهم بدينهم. ومع ذلك، كانا غافلين عما ورد من نبوءات متكررة في كتبهم المقدسة، تلك النبوءات التي حققاها بطريقة مذهلة بأفعالهما القاسية ضد بهاءالله.

فعلى سبيل المثال، أشار النبي محمد باهتمام إلى مدينة السجن "عكاء"، حيث سماها: "مدينة قد اختصها الله برحمته"؛ وفي مكان آخر وصفها كمدينة: "على شاطىء البحر.. حسن بياضها عند الله" ومن النبوءات النقلية التي فخّمت مدينة عكاء بشكل كبير، ويمكن العثور عليها في كتب الملكين التركي والإيراني المقدسة، هذه الكلمات المدهشة التي لابد وأنهما تأملاها جيدا:

"طوبى لمن زار عكاء، وطوبى لمن زار زائر عكاء"

"من أذّن فيها كان له مد صوته في الجنة"

"فقراء عكاء ملوك الجنة وسادتها"، و "إن شهرا في عكاء أفضل من ألف سنة في غيرها"

فلماذا لم يتمكن أحد من فهم هذا السرّ حتى وصول بهاءالله اليها؟!.

وأخيرا.. نجد أحد أهم النبوءات على الاطلاق، وتعتبر ذات أهمية خاصة عند دراسة تاريخ استشهاد حضرة الباب المبشر بدين

بهاءالله؛ فلقـد استشـهد وذبح حـوالي عشـرين ألفـاً من أتباعـه، بينما قدّر لبهاءالله النجاة من هـذا المصـير مـرة بعـد أخـرى في إيران والعراق وتركيا، وكان المؤيد الوحيد لحضـرة البـاب الـذي هجر إيران. لقد تحـدثت النبـؤات بتكـرار، عن "الشـخص" الـذي سيظهر في سنة 1260 هجرية، "1844 ميلادية"، وسـيكون أول الرسـولين. أحـد هـذه النبـؤات تنـبئ باستشـهاد هـذا الرسـول المقدس وكثير من أتباعه، فتقول:

"ويقتلون كلهم إلا واحداً منهم ينزل في مرج عكاء في المأدبة الإلهية"

ملحوظة: توافق سنة 1260 في التقـويم الإسـلامي الهجـري، سـنة 1844 في التقـويم المسـيحي الميلادي. وللمزيـد عن هـذا العام في كل من الاسـلام والمسـيحية، راجـع الصـفحات 8-28 من كتاب " لص في الليل".

بعـد وصـول بهاءاللـه الى مـرج عكـاء، كتب لملـوك العـالم بخصوص تلك المأدبة الالهية العظيمة الـتي يقـدمها لهم لإطعـام وتوحيد البشرية. فتفضل:

"قل قد أتى المختار ليحيي الأكوان ويتحـد العـالم ويجمعهم على هـذه المائـدة الـتي نـزلت من السماء"

كذلك حقق وصوله إلى الأراضي المقدسة نبوءات كتاب ميخـا العجيبة. فلقد أخبر كما سبق وفعل أشـعيا ودانيـال، عن المجيء الأول، وعن المجيء الثـاني في مجـد الآب "بهاءاللـه"، ووصـفوا رحلته من إيران الى جبل الكرمل. هذه النبوءات لوحـدها كافيـة لجميع البشر.

لقد تنبأ ميخا أنه في آخر الأيام، عندما تعم الفوضى والضـغينة كل العالم. سيأتي "المخلص" من بابل إلى فلسـطين. وقـد نفي بهاءالله الى فلسطين من بغداد الواقعـة على مقربـة من موقـع بابل القديمة.

في أحد إصحاحاته يعطي ميخـا إجابـة مدهشـة لأولئـك الـذين سخروا منه، وتسـائلوا قـائلين: "أين الـرب إلهـك؟" فيجيبهم في إصحاح آخر:

1- "في ذلك اليوم أيضا، يأتون إليك من آشور..."

وقد جاء بهاءالله من وسط الامبراطورية الآشورية، كما عرّفها ميخا.

2- "في ذلك اليوم أيضا، يأتي إليك من المدن المحصنة...".

وقد جاء بهاءالله من المدينة المحصنة في القسطنطينية إلى مدينة الحصن عكاء.

3- "في ذلك اليوم أيضا، سيأتي إليك.. من الحصن الى النهر..."

جاء بهاءالله من مدينة القلعة الى النهر القديم "نعمان" (Belus)، في شمال غرب فلسطين، عندما أطلق سراحه من السجن.

4- "في ذلك اليوم أيضا، يأتي إليك.. من بحر إلى بحر.."

وجاء بهاءالله عابرا البحر الأسود في نفيه الى القسطنطينية، وعبر البحر المتوسط في نفيه الأخير إلى الأرض المقدسة.

5- "في ذلك اليوم أيضا، سيأتي إليك.. من جبل إلى جبل...".

وقد جاء بهاءالله من جبل سركلو في كردستان في وادي نهري دجلة والفرات "من بابل القديمة" الى جبل الكرمل، كرم الله في فلسطين.

وفي الآية التالية، يقول ميخا "وتصير الأرض خربة" عندما يأتي المخلص.

وقد وصفت عكاء في ذلك الوقت، بـ "أكثر المدن خراباً"، وبعد وصول بهاءالله الى تلك الأرض الجدباء "الخربة"، بدأت المنطقة تدريجيا "تتفتح كالزهرة".

ثم يقول ميخا في الآية التالية، إن "الرب المخلص" "يطعم" قطيعه في "وسط الكرمل".

أعلن بهاءالله على سفح جبل الكرمل ان كل النبؤات قد تحققت. فمركز ديانته العالمي (بيت العدل الأعظم)، شيّد "وسط الكرمل"، ومنه تخرج تعاليم بهاءالله الى جميع أنحاء الأرض "لتطعم" أمم وشعوب العالم.

في الآية التالية يقول ميخا أن اللـه سـيعطي المخلص "أشـياء مدهشة" لمدة أربعين سنة.

إمتـدت مهمـة بهاءاللـه أربعين عامـا بالضـبط، شـارك خلالهـا ملوك وحكام العالم "الأشياء المدهشة" التي كشفها الله له.

تقـول نبـوءات ميخـا، أنـه في آخـر الأيـام "سيتأسـس" "بيت الرب" في الجبل، و"ستجري" شـعوب كثـيرة اليـه، و"سـتخرج" "الشريعة" منه، وأن اسرائيل ستصبح "أمة قوية".

أن "مثل هذه الكلمات ليست بحاجة الى تعليق"، حيث نجـدها في تعاليم بهاءالله، فهي تدل على حقيقتها بنفسها؟"

فهل يوجد في التاريخ قصة أروع من هذه؟

كان من المتوقع أن ترفرف الأعلام وتعـزف فـرق الموسـيقى وتغني قلوب وأفواه البشر فرحاً بوصول موعود كل الأزمنة على سفح جبل الله المقدس.

لكن ماذا حدث بالفعل؟

كتب بهاءالله عن وصوله الى ذلك السجن الفظيع قال:

" لا يعلم ما ورد علينا الا الله العزيز.."

كانت السنوات التسع الأولى من سجن بهاءالله في مستعمرة القصاص، عصيبة وخطيرة جدا، فكتب قائلا:

"ثمّ اعلم أنّ في ورودنـا هـذا المقـام سـمّيناه بالسـجن الأعظم. ومن قبـل كنّـا في أرض أخـرى تحت السّلاسل والأغلال [أي طهران]، وما سُـمّي بذلك قل تفكّروا فيه يا أولي الألباب"

لكنه أكد على أتباعه قائلا "بما معناه مترجم عن الفارسية":

"مـع ابتلائي ببلايـا لا تحصـى .. أبلغنـا الرؤسـاء واحـدا تلـو الآخـر بمـا أراده اللـه، لتعلم الأمم أن البلاء لا يمنـع قلم القـدم، إنـه يتحـرك بـإذن اللـه مصوّر الرمم. لا تخوفك جنـود من على الأرض ولا تمنعك سطوة من عليها."

كان قرار نفي بهاءالله الى عكاء مؤرخاً في 26 يوليــو 1868، وقرأ الفرمان السلطاني علناً فور وصوله داخل الجامع الرئيسى للبلدة، كتحذير لسكان المدينة.

كان السلطان خائفـا فيمـا يبـدو من وقـوع أهـالي عكـاء تحت تأثير جمال بهاءالله الساحر، كما حدث لأهالي بغداد وأدرنـة. لـذا صمم في هذه المرة، أن يكون بهاءالله وأتباعـه موضـع سـخرية وبغض سكان المدينة، وكان عازما أن لا يخطىء هذه المرة.

حكم هذا الفرمان على بهاءالله وعائلته وأتباعه بالنفي الدائم، وفــرض عليهم الحبس والعــزل الشــديد وحظــر عليهم اتصــال أحـدهم بـالآخر أو بالأهـالي، وحـرّض أهـالي مدينـة عكـاء لإهانـة واضطهاد بهاءالله وعائلته وأتباعـه بكـل طريقـة ممكنـة، بعـد أن وصفهم بأعداء الله والشعب.

وبهذه التصرفات الحاقدة، دمـغ السـلطان بختمـه على وثيقـة إخماد مجده الظاهري. فقد قـادت كـل هـذه الأحـداث إلى هلاك الإمبراطورية التركية، "عرش الظلم".

الفصل الحادي عشر

سقوط المملكة السادسة

"مَنْ خَانَ اللهَ يَخَانُ السُّلْطَانَ"

الجزء الأول: تحذير

كان خليفة المسلمين، سلطان الدولة العثمانية، يقرأ القرآن الذي تكمن فيه الوعود الإلهية كل يوم. ومع ذلك، تآمر مع شاه إيران في ثلاث مناسبات متعاقبة ضد الرسول الإلهي الذي جاء يدعو للإيمان؛ وكلما كانت تصل الى وزراء السلطان أي معلومة تخص حضرة بهاءالله وأتباعه، كانوا يحرفونها ويغيرونها في الحال إلى اتهامات زائفة، ويصورونهم للملك على أنهم "مصدر الأذى للعالم" ومستحقين لكل قصاص وعقاب.

ومن جملة نصائحه، كتب حضرة بهاءالله الى السلطان عبدالعزيز يحذره من هذه الأكاذيب:

" إِيَّاكَ يَا أَيُّهَا المَلِكُ لا تَجْمَعْ فِي حَوْلِكَ مِنْ هؤُلاءِ الوُكَلاءِ الّذِينَ لا يَتَّبِعُونَ إِلاّ هَوَاهُمْ وَنَبَذُوا أَمَانَاتِهِمْ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَكَانُوا عَلَى خِيَانَةٍ مُبِينٍ."

كان حضرة بهاءالله مهتم جدا بمثل هؤلاء الوزراء الظالمين الذين وضعوا مصالحهم الشخصية فوق مصالح الملك ورعاياه، فكتب:

"إِيَّاكَ يَا أَيُّهَا المَلِكُ.. لا تَدَعِ النَّاسَ وَأُمُورَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ هؤُلاءِ . مَنْ خَانَ اللهَ يَخَانُ السُّلْطَانَ وَلَنْ يَحْتَرِزَ عَنْ شَيْءٍ وَلَنْ يَتَّقِيَ فِي أُمُورِ النَّاسِ وَمَا كَانَ مِنَ المُتَّقِينَ"

شاهد حضرة بهاءالله بشكل جليّ مقدار انتشار فساد الذمم والأخلاق في امبراطورية السلطنة. وكان يعرف كم يعاني الفقراء على أيدي وزراء البلاد الجشعين الفاسدين. وأكد بشدة على هذا الخطر العظيم في رسالته للسلطان عبدالعزيز، قائلا:

"إِنَّ الّذينَ تَجِدُ قُلُوبَهُمْ إِلَى غَيْرِكَ فَاحْتَرِزْ عَنْهُمْ وَلا تَأْمُنْهُمْ..وَلا تَجْعَلِ الذِّئْبَ رَاعِيَ أَغْنَامِ اللهِ وَلا

تَدَعْ مُحِبِّيهِ تَحْتَ أَيْـدِي المُبْغِضِـينَ.. وَلا تَتَّبِـعْ سُـنَنَ الظَّالِمِينَ".

نصـح بهاءاللـه، الملـك أن يكـون مسـؤولا بنفسـه عن مصـالح شـعبه، وحـذره أن لا يسـمح للآخـرين بالاسـتيلاء على سـلطته واستغلالها بطريقة ظالمة لاضطهاد من هم أدنى منهم.

"خُـذْ زِمَـامَ أَمْـرِكَ فِي كَفِّكَ وَقَبْضَـةِ اقْتِـدَارِكَ ثُمَّ اسْتَفْسِـرْ عَنْ كُـلِّ الأُمُـورِ بِنَفْسِـكَ وَلا تَغْفَـلْ عَنْ شَيْءٍ وَإِنَّ فِي ذلِكَ لَخَيْرٌ عَظِيمٌ.. وَشُكْرُكَ رَبَّكَ هُوَ حُبُّكَ أَحِبَّاءَهُ وَحِفْظُكَ عِبَـادَهُ وَصِيَانَتُهُمْ عَنْ هَـؤُلاءِ الخَائِنِينَ، لئَلاَّ يَظْلِمَهُم أَحَد".

لكن جميع هذه التحذيرات ذهبت أدراج الرياح، فالسلطان كان منغمس بشدة في أهوائـه الذاتيـة بعيـدا عن اهتماماتـه بشـؤون رعيته، موكلا أمور رعيتـه بين أيـدي بعض السياسـيين الجشـعين عديمي الأخلاق، من الذين كانوا يؤكدون له على الدوام إستقرار الأحـوال وازدهـار الأمـور كمـا كـان يشـتهي. لكن مـا حـدث في الواقـع، أن طمعهم وظلمهم أسـقطهم الى الـدركات السـفلى ساحبين معهم السلطان وعرشه.

"اتركوها لله وللزمن وسوف يحكم بيننا"

الجزء الثاني: المدينة المتينة

زادت نـداءات حضـرة بهاءاللـه لحكـام العـالم بشـدة وتكثفت خلال هذه "الأيام القاسية". فكلمـا زادت معانـاة حضـرته، زادت قوة نداءاته للعالم للنهوض وازالـة كـل أشـكال الظلم والضـرر. وكتب:

"يا مَعْشَرَ المُلُوكِ إِنَّا نَرَاكُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ تَـزْدادُونَ مَصَارِفَكُمْ وَتُحَمِّلُونَها عَلَى الرَّعِيَّةِ إِنْ هـذا إِلاَّ ظُلْمٌ عَظِيمٌ، اتَّقُوا زَفَرَاتِ المَظْلُومِ وَعَبَرَاتِهِ وَلا تُحَمِّلُوا عَلَى الرَّعِيَّةِ فَوْقَ طاقَتِهِم"

وفي إحـد أكـثر كتاباتـه شـجباً للملـوك من أمثـال عبـدالعزيز، سلطان تركيا الظالم، كتب حضرته:

" وَلا تُخْرِبُوهُمْ لِتَعْمِيرِ قُصُورِكُمْ، أَنِ اخْتَـارُوا لَهُمْ ما تَخْتَارُونَهُ لأَنْفُسِـكُمْ كَـذلِكَ نُبَيِّنُ لَكُمْ مـا يَنْفَعُكُمْ إِنْ أَنْتُمْ مِنَ المُتَفَرِّسِينَ"

وطالب قادة البشر بالانتباه إلى رعاياهم على أنهم أهم وأغلى ممتلكاتهم:

" يا ملوك الأرض.. إِنَّهُمْ خَزَائِنُكُمْ إِيَّاكُمْ أَنْ تَحْكُمُوا عَلَيْهِمْ مــا لا حَكَمَ بِــهِ اللــهُ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُسَــلِّمُوها بِأَيْدِي السَّارِقِينَ، بِهِمْ تَحْكُمُونَ وَتَـأْكُلُونَ وَتَغْلِبُـونَ وَعَلَيْهِمْ تَسْتَكْبِرُونَ إِنْ هذا إِلاَّ أَمْرٌ عَجِيبٌ"

إن دفـــاع حضـــرة بهاءاللـــه الشـــديد عن حقـــوق الفقـــراء والمظلـومين أمـام حكـام الأرض الأقويـاء، كـان أحـد الأحـداث المهمة التي سبق وتنبأت عنها الكتب المقدسة قديما. فلقـد ورد في العهد القديم:

"احمدوا الرب الذي ضـرب ملوكـا عظمـاء والـذي في مـذلتنا ذكرنا ونجانا من أعدائنا"

لقد فعل حضرة بهاءالله ذلك بالضبط، فلقد حـان وقت خلاص جميع البشر من مثل هؤلاء الأعداء.

لقد حانت ساعة "قصاص" هؤلاء الملوك العظام.

وبـالرغم من جميـع تحـذيرات بهاءاللـه، سـمح السـلطان عبدالعزيز لوزرائه الاستمرار باضطهاد السجين وأتباعـه متجـاهلا جميـع نصـائحه. عنـدها.. تنبـأ حضـرته بـالجزاء المحتـوم الـذي سيلحق بالملك، مذكرا إياه بهذه الكلمات:

"ومــع ذلــك زادت غفلتكم وكــذلك سُــلِّطَ عليكم الوبــاء ولم تتنبّهــوا ولكن عليكم أن تــترقّبوا لأنَّ الغضب الإلهيّ لبالمرصاد وعن قريب ستشاهدون ما صدر من قلم الأمر"

إن كلمات حضرته لقادة العالم، أوضحت بـدون شـك، أن هـذا الصراع العـالمي الخطـير الـذي شـمل ممالـك بأكملهـا، لم يكن خلافـا بينـه وبين أصـحاب السـلطة، بـل هـو تصـادم عـالمي بين الـذين يحبـون الأمـور الإلهيـة وبين أولئـك الـذين يحبـون الأمـور الماديـة. إنهـا معركـة لا مفـر منهـا بين القـوى الماديـة والقـوى الأخلاقيـة، إنـه صـراعٌ عـالمي بين المـادة والـروح، بين الظلم القديم من جهة والعدل الحقيقي من جهة أخرى.

ان جميع المآسي الـتي غمـرت العـالم اليـوم، ظهـرت بسـبب ابتعـاد الانسـان عن اللـه وانغماسـه في الماديـة البحتـة تمامـا، وبسبب انتصار طبيعته الحيوانية؛ وإلى أن يرجـع إلى اللـه، فإنـه سيبقى يعانى باستمرار مآسي عظيمـة ومصـائب شـديدة. لهـذا السبب نادى حضرة بهاءالله الملوك لمد يد المساعدة لـه لإنقـاذ الإنسـانية من هـذه الكارثـة المخيفـة الـتي تهـددهم. فـدوره هـو التوجيه والإرشاد، وعلى حكام الوقت.. القيادة.

لقد تحـدى حضـرته السـلطان ووزرائـه ورجـال دينـه ودعـاهم لتفحص التعاليم البهائية بعقل مفتـوح. وأوضـح أنـه إذا كـان هـذا الدين حق، فلن يستطيع أي ملك منع إشراقه. فليس بإمكان أي إنسان منع شمس يوم جديـد. وأشـار أيضـا، أنـه إذا لم يكن هـذا الـدين حـق، فـإن تفحص السـلطان والـوزراء ورجـال الـدين الشامل، ستكشف حقيقتـه الكاذبـة فـوراً وسـيكون من السـهل عليهم دحضه ومحوه.

فما هو سبب خشيتهم من التفحص وإجراء تحقيق صادق؟!

كتب بهاءالله:

"يا ملأ المبغضين إن كان هـذا الأمـر حـق من عنـد الله لن يقدر أحد أن يمنعه، وإن لم يكن من عنـده يكفيه علمائكم والذين هم اتبعوا اهـوائهم وكـانوا من المعرضين".

لم يكن السلطان عبدالعزيز مهتما بالتحري عن أي شيء قاله بهاءالله. كان مهتما فقـط بإسـكات حضـرته بالسـرعة الممكنـة. لذلك وقّع السلطان على الفرمان الذي أرسله إلى سجن عكـاء، عسى أن يضع حداً لذكراه.

وحتى آخر لحظة، كان حضرة بهاءالله يحاول فتح عيون الملك ورجـال الـدين لمشـاهدة تحقـق الوعـود العظيمـة في كتبهم المقدسـة. لقـد جيء بحضـرته إلى "المدينـة المحصـنة"، كمـا سـمّاها داود النـبي، بـأمر وفرمـان من السـلطان؛ ولقـد أشـار حضرته بأن هذه واحدة من أصـغر النبـؤات الـتي تحققت بأيـدي أعدائه.

هذه الكلمات قالها حضرته للجميع بكل بساطة ووضوح:

" أتركوها لله وللزمن وسوف يحكمون بيننا "

" قريبا سنأخذ أميرهم الذي يحكم على البلاد "

الجزء الثالث : قرع للطبول

خليفة رسول الإسلام والحاكم المطلق للإمبراطورية القوية، السلطان عبدالعزيز، كان أول من تلقى قصاص العدل الإلهي من بين ملوك الشرق. فلم يكتف بهاءالله بإرسال تحذير شفهي لملك تركيا ووزرائه فقط، بل دوّنها كتابة أيضا بلهجة صريحة شديدة حتى يقرأها الناس في كل زمان، متنبئاً بسقوطه الوشيك.

كان كل من رئيس الوزراء عالي باشا، ووزير الخارجية فؤاد باشا، والسفير الإيرانى ميرزا حسين خان، يتآمرون على تنفيذ النفي المتكرر لبهاءالله.

بالنسبة لفؤاد باشا، فقد وصفه حضرة بهاءالله، بـ "المحرض" وراء النفي الرابع والأخير الى سجن عكاء. وكان هذا يشجّع رفيقه المتآمر "عالي باشا"، سعياً لتوثيق العلاقات السياسية مع إيران، من خلال إثارة مخاوف وشكوك السلطان عبدالعزيز الذي لم يكن بحاجة إلا إلى قليل من الحث والتشجيع.

لم يكن هناك غموض أو إبهام في كلمات بهاءالله المباشرة لوزراء الدولة التركية هؤلاء، بل كان تحديا واضحاً؛ ومن خلالهم حذر أيضا جميع القادة في مراكزهم المشابهة عن عاقبة الظالمين عديمي الضمير في حالة تخليهم عن شعوبهم التي وثقت بهم. فتفضل حضرته قائلا:

"قُلْ يَا أَيُّها الوُكَلاءُ يَنْبَغِي لَكُمْ بِأَنْ تَتَّبِعُوا أُصولَ اللهِ في أنفُسِكُم وَتَدَعُوا أُصُولَكُمْ وَتَكُونُنَّ مِنَ المُهْتَدِينَ. فَسَوْفَ تَجِدُونَ مَا اكْتَسَبْتُمْ فِي الحَيٰوةِ البَاطِلَةِ وَتُجْزَوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ فِيهَا"

وأضاف هذه الكلمات أيضا:

"سَتَمضي أَيّامُكُمْ وكُلُّ ما اَنْتُم تَشتَغِلُونَ بِهِ وبِهِ تَفْتَخِرُونَ عَلَى النَّاسِ.. وَهَذا مِنْ يَوْمِ الَّذي يَأْتِيكُمْ وَالسَّاعَةِ الَّتي لا مَرَدَّ لَهَا"

كان فـؤاد باشـا، أول من عـانى آلام الانتقـام. ففي خلال عـام بعــد وصــول بهاءاللــه إلى مدينــة الســجن عكــاء، طُعن وزيــر الخارجية خلال رحلة إلى باريس، ومات في مدينـة نيس. وهكـذا هلكت مكائده وطموحاته معه.

وجه بهاءالله خطابه الثـاني إلى رئيس الـوزراء الـتركي عـالي باشا، ووصفه بأنه من طراز القادة الذين يستنكرون ويضطهدون رسـل اللـه في كـل زمـان. كـان عـالي باشـا يعتـبر نفسـه مثـل ناصرالدين شاه، ملك إيران، أمل تركيا. كان يأمــل من برنامجــه العصري أن يجعل من الإمبراطورية المتهالكـة والآيلـة للسـقوط أمــة قويــة وبعيــدا عن ضــعف ودكتاتوريــة الســلطان، فــإن هــذا البرنامج كان من المفترض أن يعطي الحكومة الكثير من القــوة والتحكم.

تنبــأ بهاءاللــه بــدمار رئيس الــوزراء عــالي باشــا، وحــذره من الانخداع بنفوذه الحالي ومركزه العالي، وطلب منه تأمل مغــزى وفاة زميله المبكر والحذر منهـا. وحـذره والسـلطان، بـالكوارث التي ستضربهما قريبا. فقد كتب بوضـوح عن المأسـي الوشـيكة الحدوث، حتى يعلم العالم كله أنه تنبأ بسقوطهما. فكتب يقول:

"سوف نعزل الذى كان مثله (عـالي باشـا) ونأخـذ أمــيرهم الــذى يحكم على البلاد (الســلطان عبــد العزيز)"

وتحققت النبـوءة الدراميـة بـدون سـابق إنـذار.ففجـأة.. جُـرّد عالي باشا من جميع سـلطاته، وعـزل من منصـبه ثم مـات بعـد ذلك بقليل في نسيان تام. وأصبحت حياته السياسـية الـتي كـان يأمل منها أن تكون (أمل تركيا)، حياة قصيرة.

وتنبأ أيضا بخصوص مدينة أدرنة. فوصف المآسي الـتي سـتقع عليها وعلى سكانها، ليس بسـبب اسـتخفاف السـلطان ووزراءه بمبدأ العدل فقط، بل بسبب استخفاف سكانها أيضا.

إن كلمات بهاءالله، لها صدى اليوم مثل قرع الطبول:

"فَسَـوْفَ تُبَـدَّلُ أَرْضُ السِّـرِّ (أدرنــه) وَمــا دُونَهــا وَتَخْـرُجُ مِنْ يَـدِ المَلِـكِ وَيَظْهَـرُ الزِّلْـزالُ وَيَرْتَفِـعُ العَوِيلُ وَيَظْهَرُ الفَسَادُ فِي الأَقْطار"

وتنبأ بهاءالله أيضا:

" وَتَخْتَلِفُ الأُمُورُ بِما وَرَدَ عَلَى هؤلاءِ الأُسَـرَاءِ مِنْ جُنُـودِ الظّالِمِينَ، وَيَتَغَيَّرُ الحُكْمُ وَيَشْـتَدُّ الأَمْـرُ عَلَى شَـأْنٍ يَنُـوحُ الكَثِيبُ فِي الهِضَـابِ وَتَبْكِي الأَشْـجَارُ فِي الجِبـالِ وَيَجْـرِي الـدَّمُ مِنْ كُـلِّ الأَشْـياءِ وَتَـرى النَّاسَ فِي اضْطِرابٍ عَظِيمٍ"

وأعــاد بهاءاللــه الى ذاكــرة الخليفــة العثمــاني الســلطان عبـدالعزيز، رأس عائلـة آل عثمـان، مـا آل إليـه مصـير أقرانـه الحكـام. فلقـد تجاهـل مـرة تلـو الأخـرى احتياجـات ومتطلبـات الوضع الحـالي. حيث أنـه لم يكن يتـأثر بمعانـاة شـعبه، وكـان لا يحبــذ تمامــا أي اقتراحــات للاصــلاح تأتيــه من القلم الأعلى للسجين. وحتى لا يلتبس على السلطان معنى كلمـات بهاءاللـه، تفضل مصرحاً:

"وَسَوْفَ يَأْخُذُكُمْ بِقَهْـرٍ مِنْ عِنْـدِهِ وَيَظْهَـرُ الفَسَـادُ بَيْنَكُمْ وَيَخْتَلِفُ مَمـالِكُكُمْ، إِذاً تَنُوحُـونَ وَتَتَضَـرَّعُونَ وَلَنْ تَجِدُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ مُعِينٍ وَلا نَصِير"

ومثلمـا حـدث لنـابليون الثـالث وبقيـة الملـوك، تحققت هـذه النبؤة بسرعة مخيفة. فلقد تجمعت عوامل انهيار الدولـة بسـبب طريقــة الحكم الفاســدة. وفي معاملــة الســلطان عبــدالعزيز لحضرة بهاءالله، نموذجا فريدا لذلك. فلم تكن لديهم رغبة للثقـة بالله. لقد ذكرنا في هذا الكتاب من قبل الأحداث التي تلت ذلك.

وبدون سابق إنـذار أسـقطت ثـورة البلاط الحكومـة الملكيـة. وأُقـتيد السلطان الذي كان يعتـبر بذاتـه شخصـاً مقدسـاً، بأيـدي فظة قاسية ووضع في السـجن. وقـام الثـوار بعزلـه لصـالح إبن أخيـه "عبدالحميـد" الـذي كـانوا يعتقدونـه الأنسـب في الحكم. وكانت المشـكلة المتبقيـة هي، مـاذا يفعلـون بالملـك المخلـوع، فلقـد أصـبح رأس السـلطة الدينيـة والمدنيـة مشـكلة حقيقيـة بالنسبة لهم.

أخيراً.. تم حلّ هذه المشكلة بنفس الطريقـة الـتي كـان يحـل بها السلطان عبدالعزيز مشاكله. ففي صـباح أحـد الأيـام، طـرق سمع السلطان البائس وهـو في زنزانتـه صـوت خطـوات تـدخل غرفته التي احتجز فيها. وكان ذلك آخر شيء يسمعه...!

"أن يا ملأ المدينة اتّقوا الله"

الجزء الرابع : سقوط المملكة السادسة

خلال ولاية السلطان عبدالحميد الثاني، ازدادت الانتفاضات عنفاً وقوة. وفي النهاية، في عام 1909م، تقدم الى العاصمة للثأر، جيش أرسلته جمعية اتحاد تركيا الفتاة من سالونيكا، فعاقبت كل من عارض خططها الإصلاحية، واتخذت خطوات للتعامل مع السلطان عبدالحميد الثاني نفسه. فتخلى أصدقاء السلطان عنه، وأدين من قبل مرؤوسيه. فلقد كان مكروها من نظرائه ملوك أوروبا، وأجبر على التنازل عن العرش. وكسابقه السلطان عبدالعزيز، أصبح سجين الدولة، ثم نفي نفياً أبدياً. وهكذا عانى السلطان من نفس العقوبات التي تعرض لها عمه جزاء أيذائه لبهاءالله وعائلته. أما الوزراء الملكيين الذين شجعوا الملوك على ظلمهم وتربحوا من تصرفاتهم، فكان ينتظرهم مصيرا فظيعا. ففي يوم من أيام عام 1909، اعتقل ما لا يقل عن 31 وزيراَ وموظفاً كبيراً، واقتيدوا جميعا للمشانق، وكان بينهم عدد من أكثر أعداء دين بهاءالله. وحتى في مدينة القسطنطينية نفسها، التي سبق وأضفي عليها من قبل لقب المدينة الباهرة للإمبراطورية الرومانية، ولاحقا أصبحت عاصمة الإمبراطورية العثمانية، فلقد استبدلتها الثورة بمدينة أنقرة، ولم تعد عاصمة الدولة. وهكذا.. جردت من مجدها ومن عظمتها، واستبدل حتى اسمها ليصبح استنبول.

إن ما انتهى اليه مصير القسطنطينية، يستحضر الى الأذهان بشدة كلمات بهاءالله. فلقد تحدث عن الحالة التي وجد عليها مدينة القسطنطينية وأهلها عندما وصلها كسجين منفي:

"فَلَمَّا وَرَدْنَا المَدِينَةَ وَجَدْنَا رُؤَسَاءَهَا كَالأَطْفَالِ الَّذينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى الطِّينِ لِيَلْعَبوا بِهِ وَلِذَا بَكَيْنَا عَلَيْهِمْ بِعُيُونِ السِّرِّ لارْتِكَابِهِمْ بِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِغْفَالِهِم عَمَّا خُلِقُوا لَهُ"

لم يكن بين أهل القسطنطينية مستمع، لذا حذر بهاءالله تلك المدينة بأنها ستنال الإنتقام الإلهي:

"فَسَوْفَ يُظْهِرُ اللهُ قَوْماً يَذْكُرُونَ أَيَّامَنا وَكُلَّ مَا وَرَدَ عَلَيْنَا وَيَطْلُبُونَ حَقَّنَا عَنِ الّذينَ هُمْ ظَلَمُونَا بِغَيْرِ جُرْمٍ وَلا ذَنْبٍ مُبِينٍ وَمِنْ وَرَائِهِمْ كَانَ اللهُ قَائِماً عَلَيْهِمْ وَيَشْهَدُ مَا فَعَلُوا وَيَأْخُذُهُمْ بِذَنْبِهِمْ وَإِنَّهُ أَشَدُّ الْمُنْتَقِمِينَ".

لقد فقدت اسطنبول مكانتها العالية التي استمرت لستة قرون متوالية بلا انقطاع كعاصمة لامبراطورية عريضة لا تضاهى معنويا وفعليا. لقد انتهت الامبراطورية العثمانية. وقرر الثوار معاقبة العاصمة أيضا، واعلنوا أنها لن تكون بعد الآن مركز الظلم وإبتزاز لأموال والأرواح. فهجرت مساجد العاصمة، وتحول "مسجد آية صوفيا" الذي كان أفخرها وأجملها إلى متحف، بل واستبعدت من البلاد حتى اللغة العربية، لغة الرسول.

رنت كلمات بهاءالله بوضوح عند من لديهم "آذان ليستمعوا بها":

"يا أيّتها النّقطة الواقعة في شاطي البحرين قد استقرّ عليك كرسيّ الظّلم واشتعلت فيك نار البغضاء على شأن ناح بها الملأ الأعلى والّذين يطوفون حول كرسيّ رفيع، نرى فيك الجاهل يحكم على العاقل والظّلام يفتخر على النّور وإنّك في غرور مبين، أغرّتك زينتك الظّاهرة سوف تفنى وربّ البريّة وتنوح البنات والأرامل وما فيك من القبآئل كذلك ينبّئك العليم الخبير"

كم يبدو كلام بهاءالله مماثلاً لكلام المسيح المضطهد تجاه أورشليم، حيث قال: "لأنكِ لم تعرفي زمان افتقادك"

عندما نُقلَت العاصمة التركية الجديدة إلى أنقرة، كانت هي الضربة الأخيرة والنهائية. وبذلك هوت القسطنطينية "قبة الإسلام"، التي مجّدها الامبراطور قسطنطين كـ "روما جديدة"، والعاصمة الرفيعة لكل من الرومان والمسيحية، ومجدت باعتبارها "عرش خلفاء الإسلام".. نزلت إلى مرتبة المدن العادية، وجردت من كل أبهتها وخيلائها وسنائها، وأصبحت

مناراتها العالية الرشـيقة، مثـل شـاهد على قـبر أبهتهـا وروعتهـا التي بادت.

وسقطت المملكة السادسة.

الفصل الثاني عشر

لا حاجة للسؤال بمحضر من أقف"

الجزء الأول : جبل الكرمل

كان سجين عكاء قد فاز في المعركة الروحية ضد مضطهديه حتى قبل انهيار الإمبراطورية العثمانية بوقت طويل. فبرغم نجاح رجال السياسة الفاسدين في القسطنطينية في نشر الافتراءات والأكاذيب وتحريض العامة والمسؤولين ضده حتى قبل وصوله، إلا أن تعاقب السنين أعطت أهالي عكاء فرصة التعرف على زائرهم. ورغم أن قلة قليلة منهم أدركت حقيقة مهمته، إلا أن صبره وحلمه وحكمته، أسرت أقسى قلوب سكانها، فأعتبروه قديساً بارك بوجوده الإقليم بأتمه.

إن فرمان النفي لم يبطل أبدا، لكنه أصبح مجرد أمراً ميتاً. فبهاءالله كان سجيناً شكلياً، حيث فتحت له أبواب مدينة السجن بأمر حكام عكاء أنفسهم بعدما أدركوا مقامه العظيم.

أخيرا.. أصبح بهاءالله حراً وباستطاعته الخروج من أبواب المدينة للتمشي على جانب جبل الكرمل، وهناك أختار الموقع المستقبلي لمرقد مبشره حضرة الباب. فقد رتب بنفسه عملية نقل الرفات المقدسة من إيران إلى الأراضى المقدسة.

وبالتدريج أدرك كل الناس براءة بهاءالله من التهم المنسوبة إليه، ونفذت روح تعاليمه الحقيقية ببطء عبر الحواجز السميكة من اللامبالاة والتعصب الأعمى للناس.

وقام الشيخ محمود، رجل الدين المسئول في عكاء، المشهور بتعصبه الأعمى في محاربة دين بهاءالله، باعتناق الدين البهائي واشتعلت حماسته ليصنف ويجمع العديد من النبوءات المتكررة في الكتابات الإسلامية المرتبطة بمغزى مدينة عكاء وزائرها. وفي غضون سنوات قام بعض رجال الدين من جميع الأديان بالسير على نهجه. واضافة الى المسلمين، سعت مجموعة من مثقفي المسيحيين واليهود للدخول في محضره.

فزار البروفسير براون من جامعة كامبردج بهاءالله وتشرف بمحضره في أربعة مقابلات متوالية. وكتب يخبر أحد أصدقائه

عن تلك الساعات قائلا: "الواقع أنّه كانت تجربة غريبة ومثيرة، ولا أمل لي في أن أنقل إليك من تأثيراتها شيئاً ذا بال"

ووصف إحدى مقابلاته مع بهاءالله في هذه الكلمات:

(أمّا الوجه الّذي طالعني فلا يمكنني أن أنساه، وإن كنت لا أستطيع أن أصفه.. ولم أكن بحاجة إلى أن أسأل أحدًا في محضر من وقفت. وانحنيت بين يدي من يحيطه من المحبة والوفاء ما يحسده عليهما الملوك والأباطرة..)

الجزء الثاني : مركز الميثاق

رحل حضرة بهاءالله عن هذا العالم في بيت خارج مدينة عكاء في 29 مايو 1892م، بعدما تحققت مهمته. ومع أن شريحة من أتباعـه لم تكن مدركـة لمـدى أبعادهـا في وقتهـا، إلا أنـه وضـع أساساً لمجتمع عالمي سيزود العـالم بنمـوذج "نظـام جديـد في العلاقات الإنسانية" والذي سبق ورفضه الملوك بشدة.

كـان النـاس في عكـاء مـدركين أنهم فقـدوا من وسـطهم شخصية عظيمة لا بديل عنهـا. فاحتشـد جمـع غفـير من مختلـف الأديان والمذاهب في الحقول المحيطـة بـبيت حضـرة بهاءاللـه. وكتب شاهد عيان قائلا: "حشد كبير من مواطني عكـاء والقـرى المجاورة شوهدوا وهم يبكون ويضربون رؤوسهم ويصرخون من حزنهم".

في "وصية عهده" الخطية، عيّن حضرة بهاءالله، حضرة "عبـد البهاء"، المبين الوحيد لتعاليمه، ومركزا لعهده وميثاقه.

حمل حضرة عبدالبهاء، نـداء بهاءاللـه لشـعوب وقـادة العـالم، وسـافر إلى أوروبـا وأمريكـا في عـام 1911م وعـام 1912م محاولا إيقاظ العالم من الأخطار التي تهدده.

عند وصول حضرة بهاءالله الى مدينة السـجن، ذكـر أنـه قـال لحضرة عبد البهاء: "سـأهتم بكتابـة الأوامـر والنصـائح لمسـتقبل العالم الآن؛ واترك لك وظيفة استقبال الزوار وخدمة الناس".

ورد في المزامير عن اليوم الذي سيؤسـس فيـه "يهـوه" هـذا العهد "لكل الأجيال" عندما "يفرق أعداءه" و"يسحق خصـومه": "قطعت عهـدا مـع مختـاري.. أن أجعـل بكـري أعلى من ملـوك الأرض.. ويثبت عهدي له.. يثبت معه مثل القمر الى أبد الدهر"

لم يكن حضرة عبدالبهاء، رسولا أو "مظهراً إلهياً" مثل حضـرة بهاءالله أو المسيح أو بقية مؤسسي الأديـان العظيمـة. أن دوره في التاريخ الروحاني الإنساني، يعتبر لغزاً. فمن جهة تعتبر حياته أعظم مثال يحتذى بـه من قبـل المؤمـنين بالـدين البهـائي، فهـو الدليل على أن تعاليم حضرة بهاءاللـه هي أسـلم وأبـدع طريقـة ليحيـا من خلالهـا البشـر عصـراً جديـداً. ومن جهـة أخـرى، فـان

حضرة عبدالبهاء هو المصمم لنظام المؤسسات الإدارية كما أبدعها وخططها حضرة بهاءالله، وهو المشرف على تكوين أول هذه الكيانات الديمقراطية المختارة على النهج الذي صممه والده. فلأول مرة في التاريخ، يقدم رسول إلهي مبادئ إجتماعية ومؤسسات نموذجية إضافة إلى التعاليم الروحانية. وبسبب هذا الدور الفريد الذي منحه قلم حضرة بهاءالله الأعلى، احترمه ووقره جميع البهائيين في كل مكان.

إن قصة وفود حضرة بهاءالله، "مجد الرب" إلى جبل الكرمل في الأرض المقدسة لتأسيس ميثاق عهده مع الناس لكل الأزمنة، هو أمر جميل جداً وقوي بحيث يكون من المستحيل إبعاد أصداء كلمات إشعيا في الكتاب المقدس:

"ويأتي الفادي الى صهيون.. أما أنا فهذا عهدي معهم قال الرب.. قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك لأنه هاهي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يُرى.. لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد وخراباً تخرب الأمم.. وتعرفين إني أنا الرب مخلصك ووليك"

في عكاء.. وصل الاضطهاد الذي بدأ على يد عبدالعزيز إلى ذروته على يد وريثه عبدالحميد الثاني قبل سقوط السلطنة العثمانية. لكن عبدالبهاء رفض السماح لهذه التهديدات الجديدة بإعاقته عن الاستمرار في مساعدة المرضى والمحتاجين. ففي كل يوم كان يزور اليتامى والمرضى والفقراء. وطوال حياته، رفض بهدوء السماح لمشاكله الخاصة أن تقطع زياراته الشخصية لهؤلاء النفوس التي كانت بحاجة لمساعدته.

في ليلة مبكرة من شتاء 1907، حلم حضرة عبد البهاء حلماً رواه لأصدقائه، فقد رأى سفينة تلقي بمرساها في عكاء، ثم تطير منها بعض الطيور؛ وعندما اقتربت من حضرته، أتضح له أنها تشبه أعواد الديناميت. تقدمت هذه الطيور وراحت تحوم فوق رأسه. وكان حضرته واقفا بين حشد كبير من الناس يملأهم الذعر والخوف. وفجأة.. رجعت الطيور لسفينتها دون أن تنفجر.

بعد عدة أيام.. ظهرت من بعيد، سـفينة في الأفـق رسـت في ميـنـاء حيفـا، كـانت تحمـل لجنـة ملكيـة جديـدة جـاءت من القسطنطينية، مؤلفة من أربعة ضباط تحقيـق يرأسـهم "عـارف بـك"، ومن بينهم من هـو عـدو لحضـرة بهاءاللـه ودينـه، وكـانت تحمل كافة التفويضات المطلوبة للتخلص من حضـرة عبـدالبهاء نهائيا وبأي طريقة تراها مناسبة.

وعلى الفـور.. تحفظت اللجنـة على جميـع مكـاتب التلغـراف والخدمات البريدية في حيفا وحجـرت عليهـا، وصـرفت منهـا أي موظف اشتبه بأنه صديق لحضرة عبدالبهاء، ومن ضـمنهم حـاكم المدينة. ثم قامت بوضع حـراس على مـنزل حضـرته. فشـجعت مظاهر القوة هذه أعداءه لحضور جلسات اللجنة للقيام بـدورهم في ضمان سقوطه. وبسبب الخوف من انتقام المحققين، تخلى عنـه حـتى بعض الفقـراء الـذين كـان يسـاعدهم بمنتهى الكـرم لوقت طويل.

مرة أخرى راحت تنتشـر الأخبـار في حيفـا وعكـاء عن مصـير عبدالبهاء وأنه سيؤخذ كسجين على متن السفينة، وقـد يلقى بـه في أعمـاق المحيـط أو يتم نفيـه في رمـال أفريقيـا أو حـتى تسميره على أبواب عكاء.

لم يهـتز هـدوء حضـرته، وقـال لبعض الأحبـاء الـذين بقـوا في عكاء: "إن معنى الحلم الذي حلمته أصبح واضـحا الآن.. أرجـوك يا إلهي لا تجعل الديناميت ينفجر".

"لأني عامل عملا في أيامكم لا تصدقون به أن أخبر به" سفر حبقوق1/5

الجزء الثالث: سلاح الله

في إحدى الأمسيات، قبل وقت الغروب، رفعت السفينة الـتي كانت راسية في حيفـا مرسـاتها وتـوجهت إلى عكـاء. فانتشـرت الأخبار بسـرعة مـرة أخـرى: "لقـد ركبت اللجنـة السـفينة. ومن المتوقع أن يتوقفوا وقتاً كافياً في عكاء ليأخذوا عبدالبهاء معهم.

أحاط الكرب والغم عائلـة حضـرة عبـدالبهاء. ونـاح المؤمنـون الذين أمرهم بترك المدينة بشـدة من فكـرة الافـتراق عنـه. في تلـك اللحظـات المفجعـة، شـوهد حضـرته في حديقـة بيتـه وهـو يعتني بأزهارها في صمت وسكون.

بعد غروب الشمس وعتمة السماء، كانت أنوار السـفينة تبـدو واضحة للعيان وهي تتقدم من بعيد.

فجأة.. اذا بها تهتز وتتمايل وتغـير اتجاههـا بعيـدا، فاتضـح انهـا تبحر نحو القسطنطينية.

لم ينفجر الديناميت! بل بالأحرى انفجر نوع آخر منه. فلقد ثار أعضاء حزب "تركيا الفتاة" في العاصـمة وسـحقوا كـل مقاومـة ملكية، وتم خلع السلطان عبدالحميد ووضع مكانـه ملـك صـوري آخـر. وبـدلا من أن تأخـذ السـفينة حضـرة عبـدالبهاء إلى مـوت محقـق، أخـذت إلى القسـطنطينية ذات أعضـاء لجنـة التحقيـق الذين حاولوا إدانة حضرته، ليلقوا حتفهم هناك.

إن السـلاح الـذي رفعـه ثـوار حـزب تركيـا الفتـاة، لم يبعـد التهديدات عن رأس حضرة عبدالبهاء فقط، بـل حـرره أيضـا من سجن دام أكثر من خمسين عاما. بـدأ هـذا الحبس، عنـدما كـان حضـرته طفلا بعمـر تسـع سـنوات فقـط، وانتهى وهـو في سـن الرابعة والستين.

حمـل حضـرة عبـدالبهاء، دين حضـرة بهاءاللـه، إلى أفريقيـا وأوروبا وأمريكا. هذه الرحلات التبليغية سـتظل للأبـد فريـدة في سجلات الأحداث الدينية التاريخية.

تخيلوا..! إن رسول إلهي يزور ويخطب في الكاتدرائيات والكنائس والكُنس، وفي المدارس والجامعات، ويحاور رؤساء البلديات والقادة والمثقفين والفلاسفة والعلماء..ويدخل بيوت المليونيرات وأحياء الفقراء!.

استضيف حضرة عبدالبهاء من قبل الأمراء والمهراجا والنبلاء. وتكلم مع كبار رجال الدين في كل من إنجلترا وأمريكا، ومع الثيوصوفيين، اللاأدريين، الماديين، الروحانيين، علماء المسيحية، المصلحين الاجتماعيين، الهندوس، الصوفيين، المسلمين، البوذيين، الزردشتيين. كما تكلم مع الكاثوليك والبروتستانت واليهود. وأيضا مع وزراء الدول والسفراء وأعضاء الكونجرس والبرلمانات، والتقى وزراء الدول وعمداء الجامعات ومشاهير العلماء وقواد الجيش وكبار شخصيات المجتمع. جميعهم التقوا به واستمعوا لرسالته الداعية إلى الوحدة.

ولمدة ثمانية أشهر طوال، سافر عبدالبهاء من الساحل إلى الساحل عبر الولايات المتحدة وكندا، معلنا عن دين والده من فوق المنابر والمنصات ووسائل الصحافة. وبصرف النظر عن كل ما سيحمله المستقبل من أحداث ووقائع، فمن المستحيل على أي انسان القول أنه لم تسنح له فرصة السماع عن الظهور الإلهي في عصرنا.

لماذا لم يسمع الملايين، بدل الآلاف، حتى يؤمنوا؟

ربما نجد مفتاح السرّ في سفر حبقوق الذي تنبأ: "لأن الأرض تمتلئ من معرفة مجد الرب كما تغطي المياه البحر". وقال أيضا: ".. انظروا بين الأمم وأبصروا وتحيروا حيرة، لأني عامل عملا في أيامكم لا تصدقون به إن أخبرتم به"

أثناء الحرب العالمية الأولى، كتب حضرة عبدالبهاء عمله التاريخي، "ألواح الخطة الإلهية"، حيث نادى من خلالها أتباع حضرة بهاءالله بحمل رسالة اتحاد العالم والعدل الاجتماعي لكل ركن من أركان الكرة الأرضية مهما بعدت. فاستجاب الآلاف وتأسس مجتمع حضرة بهاءالله الآن على أكثر من 130,000 مركز وفي أكثر من 350 أمة مستقلة وأقليم رئيسي. ورغم أن هذه الأرقام دونت الآن، إلا أن هذه الاحصائية ستعتبر قديمة، لأن الدين البهائي ينمو بسرعة.

من الملفت للانتباه أن دارسو الكتب المقدسة السابقة، بدأوا يظهرون اهتماما بكلمات النبي دانيال بعدما وجدوا لها تحققا مثيراً في قصة حضرة بهاءالله. لم يتنبأ دانيال فقط بسقوط الملوك، بل تنبأ أيضا: "وفي أيام هؤلاء الملوك "الطالحين"، يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدا.. وهي تثبت إلى الأبد".[147]

وعن هذه الفترة التي صور دانيال حدوث هذه الأمور فيها، قال عدد من علماء الإنجيل، إنه لابد وأنها استهلت في 1844م، ذات السنة التي ولد فيها الدين البهائي.

وقال حضرة عبدالبهاء عند سقوط عبدالحميد:

"نزع الله الأغلال من عنقي ووضعها حول عنق السلطان عبدالحميد. حدث ذلك بغتة وفي مدة قصيرة، وفي نفس الساعة التي أعلن حزب "تركيا الفتاة" الحرية وأطلقت لجنة الاتحاد والترقي سراحي. رفعوا الأغلال عن عنقي ورموها حول عنق عبدالحميد. إن ما فعله معي انعكس عليه"

أما بشأن السلاح الذي أطلقته ثورة تركيا الفتاة بهذا الشكل القوي، قال عنه حضرته:

"كان ذلك سلاح الله".

الفصل الثالث عشر

سقوط الممالك في كل مكان !

"أن يا أيها الملوك، قد مضت عشرون من السنين"

الجزء الأول: سقوط الممالك في كل مكان

إن كتابات حضرة بهاءالله، وخطب حضرة عبدالبهاء في أوروبا وأمريكا، أوضحت ان الله لم يناشد فقط أولئك الذين تسلموا الرسائل الخاصة، بل كل حكام الأمم مسئولين عن الوديعة التي عهدت اليهم، ولقد جاء اليوم التي تترجم فيه هذه الأمانة إلى تصرفات عادلة.

لا تنطبق هذه المناشدة على مجموعة معينة بقدر ما تنطبق على الملوك بالتحديد، فالانهيار اللاحق للملكية واختفاء العديد من العروش، يجعلنا نفهم علاقة ذلك بتجاهلهم لرسالة الله. لقد حذرهم بهاءالله من الخسارة الكبيرة التي سيتكبدوها إذا اهملوا نصيحته:

"أَنْ يا مُلُوكَ الأَرْضِ.. وَمَا تَجَسَّسْتُم في أَمْرِهِ بَعْدَ الّذِي كَانَ هذا خَيْرٌ لَكُمْ عَمَّا تَطْلُعُ الشَّمْسُ عَلَيْها إِنْ أَنْتُمْ مِنَ الْعَالِمِينَ"

بحث بهاءالله دون جدوى عن ذلك القائد العظيم للبشر الذي سيرغب بتقديم أي تضحية ضرورية لرفع شأن العدل، ليس في الشرق والغرب، ولا بين الأغنياء والفقراء ولا بين النور والظلمة ولا بين اليهود وغيرهم، بل بين جميع أهل الارض.

أطرى بهاءالله على مثل هذا القائد بقوله:

"طُوبَى لِمَلِكٍ قَامَ عَلَى نُصْرَةِ أَمْرِي.. إِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ البَصَرِ لِلْبَشَرِ وَالغُرَّةِ الغَرّآءِ لِجَبِينِ الإِنْشآءِ"

انتظر بهاءالله بصبر ما يقرب من نصف مدة حياته، ليظهر مثل هذا الملك أو القائد، لقد تشوّق ليشهد خلال حياته ثمار مثل هذا العمل البطولي، وأعلن ان العالم سيصبح عالماً آخر، والناس سيصبحون أناساً آخرين لو استجابوا لندائه. ونصح أنه بدلاً من "الصلح الأكبر"، على الانسان ان يقنع نفسه "بالصلح

الأصغر". وبسبب قلة استجابة البشرية، لذا عليهـا أن تعـاني كي تفوز بهدف اتحاد وسلام العالم.

ومع ذلك، لم ينهض أي ملك أو أمة لتلبيـة نـداءه. وفي النهايـة أعلن:

"أَنْ يَـــا أَيُّهَـــا الْمُلُـــوكُ قَـــدْ قَضَـــتْ عِشْـــرِينَ مِنَ السِّنِينَ.. وَمَا كُنْتُمْ مِنَ المَـانِعِينَ، بَعـدَ الَّذِي يَنْبَغِي لَكُمْ بِـأَنْ تَمْنَعُـوا الظَّـالِمَ عَنْ ظُلْمِـهِ وَتَحْكُمُـوا بَيْنَ النَّاسِ بِالعَــــدْلِ لِيَظْهَــــرَ عَــــدالَتُكُمْ بَيْنَ الخَلائِقِ أَجْمَعِينَ"

إن حكام الشعوب سـمحوا "للـذئاب" أن يوجهـوا ظلمهم إلى "الأغنام". لذلك.. فان سـاعة الجـزاء لن تتـأخر. وأعلن بهاءاللـه اعلاناً مذهلاً، قال: إن الله قد سـلب القـوة من الملـوك، وقريبـا ستهاجمهم رياح البلايا من كل الجهات. وكتب عن هؤلاء الملـوك الظالمين قائلا:

" قد أخذوا بناصيتهم ولا يعرفون"

لم تمض سوى سنتين فقط بين الوقت الذى أرسـل فيهـا أول رسائله للملوك وتم تجاهلها وبين الوقت الـذي انهـارت فيـه أول مملكة. فالعاهـل الفرنسـي نـابليون الثـالث الـذي جحـد نصيحة بهاءاللــه لمــرتين وتعمــد إزدرائــه، كــان أول من أطيح بــه عن عرشــه، ثم تبعتــه سلســلة لا تنتهي من العــروش خلال عقــود لاحقة.

ما يلي.. هو الترتيب الزمني لجزء من قائمة الأحـداث المهمـة الـتي أعقبت بيانـات بهاءاللـه التاريخيـة للـرؤوس المتوجـة في العالم، والمصير الذي لحق ببعض الممالك الكبيرة في العالم:

1. سقوط المملكة الفرنسية (1870)
2. اغتيال السلطان عبدالعزيز (1876)
3. اغتيال ناصرالدين شاه (1896)
4. سقوط السلطان عبدالحميد الثاني (1909)
5. سقوط المملكة البرتغالية (1910)
6. سقوط المملكة الصينية (1911)

7. سقوط المملكة الروسية (1917)
8. سقوط المملكة الالمانية (1918)
9. سقوط المملكة النمساوية (1918)
10. سقوط المملكة الهنجارية – المجر- (1918)
11. سقوط المملكة التركية (1922)
12. سقوط السلالة القاجارية (1925)
13. سقوط المملكة الاسبانية (1931)
14. سقوط المملكة الالبانية (1938)
15. سقوط المملكة الصربية (1941)
16. سقوط المملكة الايطالية (1946)
17. سقوط المملكة البلغارية (1946)
18. سقوط المملكة الرومانية (1947)
19. سقوط المملكة المصرية (1952)
20. سقوط المملكة العراقية (1958)
21. سقوط المملكة اليمنية (1962)

كان مشهدا ضخما وهائلا بدى أمام عيون الناس وهي تتأمل المجال الذي هبّت عليه رياح الانتقام الالهي منذ بداية دعوة بهاءالله.

سبق واحتفلت المجلات وصحف الأخبار بشهرة العصور الفكتورية والإدواردية وبزينة ملوكهم وأبهتهم الفريدة، وكتب المؤرخون والسياسيون مجلدات عن "سقوط الامبراطوريات"، إلا أن علماء الاجتماع والتاريخ حاولوا عبثاً شرح هذا المشهد وربطه بالقوى السياسية أو التاريخية فقط، وبحثوا دون جدوى لكشف النقاب عن "القوى المفجعة التي ساقتهم الى حتفهم".

عندما كتب بهاءالله رسالته الأولى من المكان البعيد في أدرنه عام 1867م، لم يكن باستطاعة أحد التنبؤ بالأفول العالمي لمؤسسات اعتبرت العمود الرئيسي لأي حضارة في التاريخ. فالرأي العام لم يستطع تصوّر عالم بلا ممالك. فلا مؤرخ عاقل ولا فيلسوف سياسي مؤهل لتقديم مثل هذه التنبؤات.

لقد تركت مهمة إعلان إسدال الستار نهائياً على الملوك حـول العالم ولمدة طويلة، لرسول الله.

"كل البيوت العظيمة لها نهاية"

الجزء الثاني : "من رأس الكرمل"

باتمــام إعلان بهاءاللــه للملــوك، بــزغ فجــر "اليــوم المفــزع العظيم" الـذي سـبق وتنبـأ عنـه النـبي أرميـا، وارتفعت حـرارة منتصف نهاره القوية. اليوم الـذي تنبـأ بـه بمجيء موعـود الأمم، وأخبرنا ماذا سيفعل الله بملوك الأرض الظالمين الطغاة، قائلا:

"خذ كأس خمر هذا السخط من يدي، واسـق جميـع الشـعوب الـذين أرسـلك أنـا اليهم اياهـا.. وكـل ملـوك الشـمال القريـبين والبعيدين، كل واحد مع أخيه، وكل ممالك الارض التي على وجه الارض. وتقـول لهم: هكـذا قـال رب الجنـود.. اشـربوا واسـكروا وتقيأوا واسقطوا ولا تقوموا من اجـل السـيف الـذي أرسـله أنـا بينكم.. لا تتبرأون، لاني أنا أدعو السيف على كل سـكان الارض، يقول رب الجنود".

لكن العقـــاب تطـــور أكـــثر من ذلـــك، وشـــمل عـــائلات الهوهنتسـولرن، هابسـبيرغ، رومـانوف، بونابـارت، والعثمانيـة والقاجارية. ولحق أيضا بأغلب الممالك والسلالات الصغيرة التي حكمت في الأرض. إن الزوبعة التي وعـد بمجيئهـا النـبي إشـعيا، قد أتت الآن وعصفت بملـوك وأمـراء ومسـحتهم من على وجـه الأرض كلها.

ربما لا يوجد نبي في العهد القديم سبق وتنبأ بوضـوح بمصـيبة الملوك القادمة، مثلما فعل النبي عـاموس؛ إنـه هـو بذاتـه الـذي وصف بدقة الأحداث الماديـة الـتي وقعت أيـام "البـاب"، مبشـر الدين البهائي الـذي واجـه القتـل من فـوج عسـكري مؤلـف من 750 ألف جندي.

تنبأ عاموس.. كما تنبأ من قبله إشعيا، أنه في "يـوم الزوبعـة" سيمضي "الملك" و"أمرائه" الى العبودية، وسيكون هناك "جـوع وعطش" لسـماع "كلمـات الـرب". وسـيركض أدعيـاء التحـرر واللادينـيين والمـاديين "ذهابـا وإيابـا" للبحث عن كلمـات اللـه، لكنهم لن يجدوها أبدا.

أعلن عاموس أن الرب في ذلـك اليـوم، سـيدعو من صـهيون ومن "أعلى الكرمـل" بقـوة الى محضـره. سـيأتي الـرب و"لن يكون صامتا".

إن صدى كلمات بهاءالله، من خلال القصور الخالية تنذر:

"يَا أَيُّها المُلُوكُ وَإِنْ لَنْ تَسْتَنْصِحُوا بِمـا أَنْصَـحْناكُمْ في هذا الكِتابِ بِلِسانٍ بِدْعٍ مُبينٍ، يَأْخُـذُكُمُ العَـذَابُ مِنْ كُلِّ الجِهاتِ وَيَأْتِيكُمُ اللّهُ بعَدْلِهِ، إذاً لا تَقْـدِرُونَ أَنْ تَقُومُوا مَعَـهُ وَتَكُـونُنَّ مِنَ العَـاجِزينَ، فَـارْحَمُوا عَلى أنفُسِكُمْ وَأنْفُسِ العِبادِ"

إنـه لمن المـدهش أن يؤكـد رسـول إلهي في زماننـا على ان الوقت قد حان لعقاب وردع كل أنواع العدوان. ومهما بلغت قوة المعتدي، فلن يتمكن من التغلب على مشاكل العالم:

" لم يغمض الله عينه عن طغيان المعتدين، بل انـه انتقم في هذا الظهور من كل الطغاة أجمعين"

من مكان الأسر في عكاء، من "باب الرجاء"، حيث وعد النبي هوشع، مضى بهاءالله في سنين حياته الأخـيرة يستشـف مقـدار اسـتجابة العـالم وشـعوبه لدعوتـه. وبعـد سـنوات طويلـة من المناشدة المستمرة، ورغم حزنه، صرّح بشكل مؤكد:

" فيا إلهي وسيدي ومحبـوبي أنت تعلم بـأني مـا قصرت في تبليغ أمرك وأظهرت لعبادك أعظم ما عندهم أمرا من عندك، ولـو اسـتمعوا لي لتغـيرت الأرض بغير الأرض"

إن الاثباتــات قــدّمت، والنبــوءات تحققت، والاختــام فتحت، وموعـود جميـع الـديانات والأمم والشـعوب أعلن مهمتـه الإلهيـة بشكل عالمي لم يسبق لعيون البشر أن شـهدت من قبـل مـثيلا لها.

وصرّح بهاءالله في آخر أيام مهمته على الأرض:

"هل بقي لأحد في هذا الظهور من عـذر؟ لا ورب العرش العظيم! قد أحـاطت الآيـات كـل الجهـات، والقدرة كل البرية"

الفصل الرابع عشر

"عن قريب سيطوى بساط العالم ويُبسط بساط آخر"

الجزء الأول : ميراث الملوك

اختفى آل هابسـبورغ وعائلـة هوهنتسـولرن، لكن إرثهم بقي من بعدهم. وياللأسف.. كان ميراثا مأساويا استلمته كـل البريـة، فلم يفشل الملوك في الإستجابة لإحتياجات العصر الجديد الـتي بيّنـها المبعوث الإلهي، حتى بعـد انتهـاء الحـرب العالميـة الأولى، ولم ينهض سوى رئيس دولة واحـد ليناصـر العـالم الـذى صـوّره بهاءالله.

قبل سنوات من إعلانه للملوك، نادى بهاءالله بتشكيل محكمة دوليـة للتحكيم بين الأمم. فبـدت الفكـرة آنـذاك في منتصـف القرن التاسع عشر وكأنها فكرة ثورية، بل واكثر من ذلك بسبب الصورة التي اقترحها.

"لا بُدَّ أَنْ تُشَكَّلَ فِي الأَرْضِ هَيْئَةٌ عُظْمَى يَتَفَـاوَضُ الْمُلُوكُ وَالسَّلاَطِينُ فِي تِلْـكَ الْهَيْئَةِ بِشَـأْنِ الصُّـلْحِ الأَكْبَر"

ولا يجب ان تكـون المحكمـة مجـرد مـؤتمر لقـاءات أو مكانـا للنقاش، بل يجب أن تمنح لها القدرة والسـلطة لتطبـق السـلام بالقوة، قوة مستمدة من تعاون جميع الحكومات.

"أن اتحـدوا يـا معشـر الملـوك بـه تسـكن أريـاح الاختلاف بينكم وتسـتريح الرعية ومن حـولكم إن أنتم من العـارفين. إن قـام أحـد منكم على الآخر قوموا عليه إن هذا إلاّ عدل مبين."

خلال مؤتمر السلام عام 1919، نادى الرئيس الأمـريكى ودرو ويلسـون Woodrow Wilson بإنشـاء "عصـبة الأمم" لضـمان السـلم في العـالم. وكـانت إبنـة الـرئيس قـد أظهـرت إهتمامـا وحماسا بالظهور الإلهي الجديـد! وبغض النظـر عن المصـدر، إن كـان من ابنتـه، أو من بنـات أفكـاره الخاصـة؛ قـدم هـذا الرجـل فكـرة جديـدة تتفـق مـع روح العصـر حين اقـترح على رفاقـه الانضـمام إليـه في أول تجاربـه المتواضـعة لتشـكيل النظـام العالمي.

أما ما تلى ذلـك، فكـانت قصـة حزينـة معروفـة، حيث تعـرض لخيانة بعض دبلوماسي الأمم الأخرى الطموحين، وكـذلك لخيبـة أمل محزنة من رفاقـه رجـال دولتـه حين قـابلوا دعوتـه بسـلوك مشين؛ فشاهد رجل الدولـة هـذا، "خـذلان محـزن" هـدم صـرح حلمه. لقد قدم حياته في محاولة عقيمـة لضـمان دعم الولايـات المتحدة للهيئة العالمية المبتدعة الجديدة.

وعندما ظهرت عصبة الأمم، كانت تفتقد إلى "أسنان" لتجعـل قراراتها فاعلة. وقبل حلول ظلام ليل سـنة 1939م على أوربـا، كانت عصبة الأمم محط سخرية عالمية.

إن اللـوح الصـادر من قلم بهاءاللـه الى أعضـاء البرلمانـات المنتخـبين في جميـع البلـدان احتـوى على إنـذار وتحـذير واضـح لورثة العروش:

فـانظروا العـالم كهيكـل إنسـان إنّـه خُلق صـحيحا كـاملاً فاعترتـه الأمـراض بالأسـباب المختلفـة المتغـايرة ومـا طـابت نفسـه في يـوم بل اشـتد مرضه بمـا وقـع تحت تصـرّف أطبـاء غـير حاذقـة الذين ركبوا مطيّة الهوى وكانوا من الهائمين."

لم يعتبر العالم أو يتعظ من صور الدمار التي سببتها مغامرات العسكر المتهورة للملوك المخلوعين. ففي جميـع أنحـاء العـالم، كـانت الحلـول المقدمـة للمشـاكل الـتي راحت تغـرق فيهـا المجتمعات العالمية بشـكل مطـرد، إمـا حلـولاً سياسـية أو على الأكـثر إجتماعيـة وإقتصـادية. وحـتى وقت قـريب، بقيت تقابـل بسخرية وتهكم أي رأي يقول إن أصل جـذور هـذه الاضـطرابات العالمية، هي مسألة روحانية.

كم كـان مـا نطـق بـه سـجين عكـاء منـذ قـرن مضـى، إنـذارا بالسوء في عصر هيروشيما:

"إن في الأرض أسـبابا عجيبـة وغريبـة ولكنهـا مسـتورة عن الأفئـدة والعقـول. وتلـك الأسـباب قـادرة على تبـديل هـواء الأرض كلهـا وسـميتها سبب للهلاك."

وأخيرا:

"سيعم العالم الاضطراب، ثم تشرق شمس العدل من أفق عالم الغيب."
"عن قريب سـيطوى بسـاط العـالم ونمـدّ بسـاط آخر مكانه إنّ ربّك لهو الحق علاّم الغيوب.

"مسيحيو الغرب سيرشدون العالم الى بهاءالله"

الجزء الثاني : نظرة جديدة للتاريخ

وماذا بشأننا؟ وماذا بشأنهم؟ وماذا بشأن الملايين من الجنس البشري الذين لفتوا انتباه البشرية الى أن بهاءالله يبتغي حمايتهم من تجاهل الملوك وطغاة الحكام؟ فرسالة بهاءالله الإلهية، لم توجه الى الحكومات فقط، بل لكل فرد من بني البشر. كم هو غريب أن الحضارة التي استخدمت الذرة واخترقت الفضاء واكتشفت الكثير من أسرار الطبيعة الرائعة، وأوجدت العديد من الانجازات البراقة في مختلف مجالات العلوم، تهمل العالم الروحاني تماما دون اكتشاف.

كيف حصل أن غفلت الإنسانية رغم مصادرها الهائلة الفذة البراقة، عن أكثر الحقائق أهمية، ألا وهي: الفهم الروحاني والأخلاقي للتاريخ؟ إن الغاية الحقيقية من الحياة، كما أشارت التعاليم البهائية، هي تحسين الصفات والكمالات الانسانية الحميدة. فبناء الفضائل الأخلاقية والمعنوية هي المهمة الحقيقية في الحياة لكل الشعوب والأمم. وكل ما يدعم هذا الهدف، هو ذو قيمة ويجب تشجيعه. وكل ما يعوقه ويؤخره أو يمنعه، عديم الفائدة ويجب نبذه. إن الحياة كلها تدور حول هذا الهدف؛ إنه سبب الوجود. فكل حدث في الحياة يعتمد في نفعه الأساسي وقيمته باتصاله المباشر أو غير المباشر بهذا الهدف الرئيسي. إنه مكسب كبير اذا وضع في مقدمة الأمور، وخسارة كبيرة إذا لم نفعل.

وأي فلسفة لا تدعم هذا المنظور بشكل من الأشكال، هي عديمة الجدوى. فأي شخص يكرّس نفسه لشيء آخر مثل كسب الثروة أو المتع المادية، الرفاهية، اشباع الرغبات، المنافع الشخصية، ويفكر أن الحصول على هذه الأهداف، هو قيمة غنية مستقلة، وأنها أهم من الدوافع الروحانية والأخلاقية في حياته، فإنه سيصاب عاجلاً أم آجلاً بخيبة أمل وتعاسة. وشخص كهذا، ليس لديه هدف حقيقي في الحياة، سيكون عرضة للحزن وتدمير الذات بصورة أو بأخرى. وسيدمر نفسه بالتدريج، جسديا

أو أخلاقيا، أو الاثنين معا، من خلال اليـأس أو من خلال الافـراط في المتع المادية التي يسعى من خلالها عبثا الفرار من قدره.

هذه هي المأساة التي بدأت تأخذ مكانها اليوم على المسـتوى العالمي. فلم يعد يحبنا أحد.. لا أمهاتنا، ولا آبائنـا، ولا أولادنـا، ولا زوجاتنا، ولا أزواجنا، ولا أحبائنا... لا أحد.

إن عوائلنا وأصدقائنا يحبون فقط ما نملكه من صفات معنويـة داخلية، مثل: العطف، الكـرم، الشـفقة، الحنـان، الحب، العـدل، الإنصاف، الرقة، الاهتمام..الخ؛ هـذه هي الأشـياء الـتي يحبونهـا. فكلما زدنـا من هـذه الصـفات في حياتنـا، زاد حبهم لنـا. وحالمـا نفتقد هذه المنـاقب، تضـمحل محبتهم وتنتهي. ومـا ينطبـق على الأفـراد ينطبـق كـذلك على الشـعوب والحضـارات. إن اكتسـاب هذه الاخلاق الجوهريـة والفضـائل الطيبـة، هـو الهـدف الأسـاس لحياة الفرد وروح المجتمع.

وأي هدف آخر، لا قيمة له، اذا ما قورن بهذا الهدف. لقد فقـد العـالم اليـوم معظم هـذه الفضـائل، ويواصـل فقـدانها. إن تيـار المـذهب المـادي الفـارغ جـرف كـل النـاس والشـعوب، ولا بـد لشيء ما أن يعكس تيـاره. ولأجـل ذلـك جـاء بهاءاللـه، هـذا هـو جوهر مهمة ديانته. إن الكنائس تعجز عن إيجاد علاج ناجع، لأنهم فقدوا طبيبهم الإلهي، المسيح. لقد تركتهم روحـه قبـل أكـثر من قـرن من الزمـان عنـدما عـاد في مجـد الآب، بهاءاللـه، بينمـا أشاحت الكنائس وقادتها بوجوههـا عنـه تمامـا، كمـا فعلـوا أول مرة. وبالمثل ينطبق هـذا الاعـراض على بقيـة الأديـان السـابقة الكبيرة.

لم تكن لتنجرف الأمور الى هذا المستوى، لو اسـتجاب رجـال أديان العالم للرسـول الإلهي الـذين يزعمـون أنهم يتوقـون اليـه منذ عدة قـرون. رغم دعوتـه المباشـرة لهم فـرادى وجماعـات، كما سبق وخاطب الملوك.

فعلى سبيل المثال.. تحدث مع البابا بيوس التاسع. وقصة تلك الرسالة المقتضبة وأصدائها في التاريخ الحديث، ربما يكون أكثر فصل درامي في مجمل الدراما الروحانية.

أخبر بهاءالله، البابا، أنه، هو بنفسه "الآب" الـذي سـبق ووعـد بظهوره المسيح "الإبن" بالضـبط.. نفس الـذات المقدسـة الـتي

كان ينتظرها البابا بالتحديد؛ الذات المقدسة التي بإسمها، يتسلم ويرتقي البابا مكانته المقدسة.

ثم.. مضى قرن كامـل من الصـمت من جـانب الكنيسـة، لكن البذور كانت قد زرعت. فدعونا نرى ماذا حدث بعد مائة عام...

الجزء الثالث: أصداء من الماضي

كم من المسيحيين قاموا بدراسة الرسالة الرعوية المنشــورة للبابا يوحنا الثـالث والعشـرين، (Peace on Earth)، "السـلام على الأرض"؟ ربما لم يبد غالبية البروتستانت اهتمامـا بهـا. لكن كم من الكاثوليك أعاروها اهتمامهم؟

للعودة الى أصول هذا المنشور البابوي الذي كان له تأثير بعيد المدى على الكنيسة الكاثوليكية الرومانيـة المعمـرة منـذ 2000 عام. علينا الرجوع لكلمات بهاءالله التي وجهت الى البابـا يوحنـا السابق، بيوس الخامس في عام 1869.

فلقد أخبر حضرة بهاءالله، البابا بصـراحة، أن "الآب" قـد أتى، كما سبق ووعد "الإبن"، يسوع المسيح. وأنه هو بهاءالله، بنفسه هو "الآب".

آنذاك.. كانت الاستجابة محزنة..!

ربما.. كان هذا التصرف السلبي مفهوما منذ مائة عام. صحيح أنه مؤسف، لكنه مفهوم. فليس من المتوقـع أن يهـتز رئيس أي دين عــالمي ويتــأثر من أعماقــه حينمــا يواجهــه تحــد لمنصــبه السامي، خصوصا اذا بدى هذا التحدي - حسـب الظـاهر - تحـدياً غير منطقي ومرسـل من قبـل سـجين في مسـتعمرة القصـاص محكوم عليه بالنفي المؤبد.

إن "قيافا"، كبـير أحبـار اليهـود، لم يهـتز نشـوة عنـدما أخـبره السيد المسيح، أنه "إبن الله"، عند مقابلته وجها لوجه. بــل على العكس، فقد وصف المسيح بـ "المجدّف".

لذلك يمكننا تخيل ردة فعل رسالة بهاءالله، لـدى البابـا بيـوس الخامس. فلم يكلف أحدهم نفسه حتى بوصـفه مجـدفاً، رغم أن إدعاءه كان أكثر جرأة من إدعاء المسيح. ولم تبد حـتى الرئاسـة البابويــة أي إنزعــاج أو انتبــاه منــه، مثلمــا ظهــر بين عــدد من الملوك. بل على العكس، فقد أسدلت ستارة كثيفة من الصمت حول الموضوع بالكامل.

بعدها بمائة عام، وفي نفس السنة ونفس الشهر بالضـبط في الـذكرى المئويـة الـتي أعلن فيهـا بهاءاللـه دعوتـه المقدسـة الموعودة في جميع الكتب المقدسة للعـالم، أصـدر البابـا يوحنـا الثالث والعشرين منشوره الذي تلقاه العالم بالترحاب.

كـان الثنـاء مـبرراً، ليس بسـبب تعامـل الرسـالة البابويـة مـع المشاكل العالمية فقط، بل لأن البابا يوحنـا نفسـه كـان محبوبـا ويعتبر كشخص قديس من قبل أتباعه الحقيقـيين. في المنشـور البابوي، تحدث الحبر الأعظم عن المواضيع التالية:

السلام العالمي

المجتمع العالمي

البحث عن الحقيقة

الثقافة العالمية

المساواة بين الرجال والنساء

وحدة العالم الانساني

الوحدانية الإلهية

اتفاق الدين والعلم

نزع السلاح

التحذير من الأسلحة النووية

الحل الروحاني للمشاكل الاقتصادية.

هل صوت هذه الأفكار، كان مألوفا من قبل؟!

نعم.. إنها مبادىء الدين البهائي جملة وتفصيلا.

إنها التعاليم الإلهية والنصائح المقدسـة الـتي أعطاهـا بهاءاللـه للملوك ولرؤساء الأديان في العـالم منـذ أكـثر من قـرن مضـى، وقبل أن ينطق البابا بها مؤخراً.بعد مائـة سـنة بالضـبط. كم هي قوية كلمات بهاءالله التي قيلت منـذ أمـد بعيـد للبابـا في رومـا، والآن يرن صداها في أروقة التاريخ بعد قرن من الزمان:

" أن يا رئيس القوم! أن اسـتمع لمـا ينصـحك بـه مصور الرمم"

بسبب حب البابا يوحنا الثـالث والعشـرين الحقيقي للإنسـانية، وقيادته الحكيمة لعالم مليء بالمشاكل، نال جائزة نوبل للسلام. كمـا حـاز الإعجـاب والتقـدير في جميـع أنحـاء العـالم على المستويين الشعبي والصحفي.

ومع ذلك، لم يكن ما قاله سوى صدى ضعيف لتعاليم بهاءاللـه المقدسة بعد مائة عام. لم يفعل أكثر من مشاركة البشرية تلـك المثل العليا التي أنكرها القادة الدينيين والدنيويين معا منذ قرن.

ماذا كانت مكافأة بهاءالله؟

لقد تم تعذيبه وتصفيده بالسلاسل ونفيه وسجنه لما يقرب من نصف قرن، لقد أتهم بأنـه عـدو للنظـامين الـديني والمـدني. إن أكثر من ثابروا بتعصب على انكار تعاليمه المقدسة، إن كان في إيران، تركيا، أو في الشرق الأدنى، كانوا من رجـال الـدين. وفي الواقع أخذ رجال الدين الإسـلامي الـدور القيـادي في مواجهتـه؛ لكن الحقيقة المؤسفة، إن الـذين عملـوا مـا في وسـعهم لنشـر تلك المفتريات المبكرة، كانوا من المبشرين المسـيحيين الـذين شعروا بالحسـد والغـيرة حفاظـا لهيبتهم لـدى جمهـورهم. وعلى كل حال، فلم تستطع الكنيسة سوى تأخير حقيقـة تـأثير الـوحي الإلهي الذي طالما انتظروه.

الجزء الرابع: أصداء أخرى لذات القلم الأعلي

إنه لمن المستحيل تماما أن نـدير ظهورنـا للأحـداث العظيمـة الـتي أخـذت مكانهـا في ديانـات العـالم اليـوم، بـدون تتبـع آثـار إلهامات الكلمات التي أرسلها بهاءالله منذ أمد طويل إلى رجـال الدين في القرن التاسع عشر.

كم من الكاثوليكيون ادركـوا وفهمـوا مغـزى زيـارة البابـا بـول التاســع للأمم المتحــدة؟ وكم من المســيحيون انتبــه للمعــاني الروحانيــة فيمــا تضــمنته زيارتــه للمجمــع الاستشــاري العــالمي للكنائس في سويسرا؟ أو لكمبالا بأوغندا؟ كل هذه الأحداث لهــا "جذورها" في رسالة بهاءالله للبابا في روما منذ أكـثر من قــرن من الزمان.

نـادى بهاءاللـه البابـا بيـوس التاسـع "للخـروج" من "قصـوره" واللهج بذكر ربه بين الأرض والسماء، وحثـه أيضـا على "بيـع مـا يمتلكـه من زينـة مزخرفـة وإنفاقهـا في سـبيل اللـه". لم يطلب بهاءالله من البابا أن يفعل أي شيء يماثل مـا فعلـه هـو بنفسـه من تضحيات مطلقة بجميع المقاييس.

عندما حانت ساعة حمل بهاءالله لدعوة الله تعالى، كـان ذلـك وهو في "منتهى الثروة والعـز". كـان من نبلاء مقاطعـة نـور في إيران، ومع ذلك طرح جانبا ورمى "كل اعتبـارات دنيويـة للـثروة والجاه"، رغم علمه جيدا لما سيقوده إليه مثـل هـذا القـرار. في تلك الأوقات كان البابا بيوس التاسع في قمة السلطة والشــهرة الشـعبية، أمـا بهاءاللـه فقـد انحـدر من أعلى منزلـة ماديـة إلى أدناها، ومن الحريـة الى السـجن. شـكر بهاءاللـه ربـه على تلـك "المحنة" قائلا:

> **" إنّ العنق الّذي عوّدتَهُ ملمس الحريـر قـد قيّدتَـهُ آخــر الأمــر بــأغلالٍ غليظــةٍ والبــدن الّــذي نعّمتــه بلباس الدّمقس والدّيباج أخضعتَهُ في النّهاية لـذلّ الحبس".**

حث بهاءالله البابا ليتبعه في هذا المثال، وطلب منه ترك "القصور" ومساعدة (الآب)، وعرض تعاليمه الإلهية "للبشر من جميع الأديان".

من مدينة السجن التي أرسل بهاءالله رسالته الى البابا بيوس التاسع كتب قائلا:

> **" قد قيد جمال القِدَم لاطلاق العالم وحُبس في الحصن الأعظم لعتق العالمين واختار لنفسه الأحزان لسرور من في الأكوان.. قد قبلنا الذلة لعزكم والشدائد لرخائكم"**

مثل هذه المهام، كان يجب أن تكون الشغل الشاغل للبابا أيضا، طالما هو يعلن أنه نائب المسيح على الأرض. لقد أبلغه بهاءالله أن الموعود الإلهي الذي ينتظره قد جاء. والمسيح العائد يقف أمام عينيه، وحذره من الإعراض عنه بسبب اختلاف اسمه المتوقع:

> **"إِيَّاكَ أَنْ يَحْجُبَكَ هَواكَ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى وَجْهِ رَبِّكَ..أَتَرَوْنَ أَنْفُسَكُمَ فِي الْقُصُورِ وَسُلْطانُ الظُّهُور فِي أَخْرَبِ البُيُوتِ؟ قُومُوا عَنْ قُبُورِ الهَوَى مُقْبِلِينَ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّكُمْ مالِكِ العَرْشِ وَالثَّرَى"**

لم يفعل البابا أي شيء من هذا. وبسرعة راح يعاني من نفس خسارة مملكته الدنيوية كما حدث للحكام الدنيويين.

لقد أنزل بهاءالله في تلك الأيام، لوح البابا بيوس التاسع، وقتما كان يجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية. لكن، وعلى ذات خطى أقرانه من الملوك، وجد نفسه مقيداً بالقوى التي انبثقت من "يوم الله".

وفجأة.. أعلن الملك فيكتور عمانويل الأول، الحرب على الولايات البابوية، فزحفت جيوش الملك الى روما ودخلتها وسيطرت عليها.

مباشرة، في صباح اليوم التالي، وبعدما بدأ القصف المدفعي، أمر البابا برفع الأعلام البيضاء على قمة كنيسة سانت بيتر، ثم اختار البابا أن يحبس نفسه في أعلى البنايات التي تركت له،

وأعلن نفسه "سجين الفاتيكان". أما روما المدينة الخالـدة الـتي تمتعت بالمجـد لأكـثر من 25 قرنـا والـتي حكمهـا البابـاوات بسلطات مطلقة لمدة 10 قـرون، فقـد أصـبحت أخـيرا كرسـي المملكة الجديدة الصغيرة ومسرحا للذلة التي فرضها البابا على نفسه والتي سبق وتعرض لها بهاءالله من أعدائه.

على كل حال، بقيت أوامر الله في لوح البابـا جاريـة القضـاء. فسقوط البابا بيوس التاسـع، لم يغـير فيمـا بعـد من الالتزامـات الواجبـة على من أعلنـوا أنفسـهم نـواب يسـوع المسـيح على الأرض.

كان البابا جون، أول بابا يجبر على التخلي عن البابوية بصـورة مفاجئة. أما خليفته، البابا بـول السـادس، فقـد اسـتجاب بشـكل أكثر ولكن برغبة أقـل، اسـتجاب لـدعوة بهاءاللـه بعـد مئـة عـام ليخرج من قصر لاتيران الى وسط شعوب العالم. فكانت زياراته لإفريقيا، آسيا، أمريكا اللاتينية، أمريكا الشمالية وأوروبـا، وهكـذا كسرت التقاليد البابوية الممتدة منذ عشرين قرنا.

زيـارة البابـا بـول السـادس لمركـز الأمم المتحـدة في مدينـة نيويورك، كانت من أهم زياراته. هناك أعلن عن رأيه بوضوح بين قـادة الأمم. وحثهم على العـدل والانتبـاه للأمـور المـذكورة في كتاب الله المقدس.

لماذا يعتبر هذا الحدث بالذات مهما بالنسبة لمن يدرس قصـة بهاءالله؟

لنعطي بعضا من الاسباب:-

1. دعى بهاءالله ملـوك وحكـام الأمم لتأسـيس هيئة عالمية كالأمم المتحدة منذ قرن مضى.
2. زار ابنه عبـدالبهاء مدينة نيويـورك منذ ثلاثة أربـاع قـــرن مضـــى، حيث المقر الرئيسي لهيئة الأمم المتحدة الآن، وشـرح خلالها أهمية "عهـد" بهاءالله مع شعوب العالم، وأطلق عليها اسم "مدينة العهد والميثاق" لبهاءالله.

3. زار عبـدالبهاء كاليفورنيا أيضـا. وخلال تواجـده في مدينة ســـان فرانسيســـكو، أعلن أن كاليفورنيا تستحق رفع أول علم للسلام العالمي. وبعد ثلاثين عام من هذه الزيـارة، كتب دسـتور الأمم المتحـدة في ســان فرانسيســكو، واختــير اللــونين الأزرق والأبيض رمز السلام لراية الأمم المتحدة.

كم هو ملفت للنظر اسـتجابة البابا بشـكل لا إرادي لدعوة الله ذات المئة عام.

بينما كان البابا بول السـادس يخطب في الأمم المتحـدة، كمـا سبق وفعل يوحنا الثالث والعشرين من قبله، كـان يـتردد صـدى نفس تلك المبادئ التي نادى بها بهاءاللـه للعـالم. فمن المحـزن أنهـا احتـاجت أكـثر من مائـة سـنة! والأشـد حزنـاً أن لا يكـون لكلمات خطابه المتأخر كثيرا.. أي تأثير. أمر واحـد كـان ذا صـلة في خطابه، تكرار ذات كلمات خطاب بهاءالله، لسلفه:

"قد أتى رب الأرباب.. خـزن مـا اختـار في أوعيـة العدل وألقى في النار ما ينبغي لها".

وعلى كل حال، لم تكتمل علاقة البابـا مـع التـاريخ. فقـد حـدد لمكتبه مهمتين دقيقتين أخريين، الأولى تركات أسـلافه، والثانيـة حتمية تمام الوعد الإلهي. ويتقدم البابا مدفوعا بيد خفيـة باتجـاه الدور المرسوم له قبل مئة عام.

الجزء الخامس: " يا ملأ الرهبان"

دعا حضـرة بهاءاللـه البابـا بيـوس التاسـع لزيارتـه في الأرض المقدسة، ولو كـان البابـا قـد أحب المسـيح وتـذكّره، لفتح قلبـه لحضرة بهاءاللـه، ولكـان مبـدأ "التوكـل" على اللـه هـو التـأمين الوحيد الذي سيحتاجه في رحلة كهذه.

لو كان البابا حقاً منتظراً صادقا وباحثا مخلصا، لمـا فشـل في التحقـق من دعـوى أعطى كلماتهـا، بهاءاللـه كـل هـذه القـوة الأخلاقية الهائلة. ولو لم يستطع الحضور، فكان بإمكانـه ارسـال المئات بدلا عنه.

لم تتحقق الرحلة أبدا. ولم يكن هناك سوى الصـمت من قبـل الكنيسة، إنه قرن من الصمت.

ثم.. وبعد مائة سنة، زار البابا بول السـادس الأرض المقدسـة كاسـراً جميـع القواعـد، ولأسـباب غـير واضـحة تـرك رومـا وزار الأرض الـتي دعـا فيهـا رسـول اللـه سـلفه. وقـد أُسـتقبل بـول السادس بحفاوة بالغة كما أُستقبل من قبلـه الإمـبراطور فرانـز جوزيـــف والقيصـــر ويلهلم الأول، واعتبرتـــه الصـــحافة حـــدثاً عظيماً.أخيرا جاء البابا للأرض المقدسة.

في المجيء الثاني.. جاء حضرة بهاءالله سجيناً منفيّاً، محبوسا ومـزدرى. بينمـا في المقابـل، حضـر البابـا الـذي يحتـل باسـم الموعود عرش حضرته محاطا بالتهليل والتبريك.

تأخر كثيرا، قرنا من الزمان، منذ أن كان الموعود هنـاك. ومـع ذلك، لم يسع البابا بول السـادس للتحـري عن المركـز المزدهـر الذي تحتل مقاماته وحدائقه سفح جبل الكرمـل ذكـرى لسـجين عكاء.

خلال زيـارة البابـا بـول السـادس لاسـرائيل، وصـلت الأخبـار للمركز العالمي البهائي في ذلك اليوم، معلنة أن تعـاليم حضـرة بهاءاللـه، "مجـد الـرب"، قـد انتشـرت بالفعـل في جميـع أنحـاء العالم بين اكثر من 2100 قبيلة وجنس ومجموعـات عرقيـة في اكثر من 130000 مكان مختلف على الكوكب.

أما الصحافة والتلفزيون والراديو، فجميعها تجاهلت هذا الخبر! وهذا ما سبق وحصل من قبل أيضا.

وكمـا ورد في رؤيـا النـبي حبقـوق: "لأن الأرض تمتلىء من معرفه مجد الرب كما تغطي المياه البحر"

هناك على سفح جبل الكرمـل، " كـرم اللـه"، ينتصـب عـرش العالم لـ "مملكة الله" التي يمجدها البابا ومعـه أكـثر من نصـف مليار كاثوليكي في صلواتهم كل يوم.

لقد جـاءت "مملكـة اللـه"، وتحقـق الوعـد الإلهي على الأرض كما جاء الوعد في صلوات الـرب، لقـد ظهـرت مملكـة المسـيح الموعودة في نفس البقعـة الـتي تنبـأ بهـا في فقـرة تلـو أخـرى الكتاب المقدس، الذي يقدسه البابا وأتباعه. ولكن مـع الأسـف.. لا الكاثوليك ولا البروتستانت كانوا منتبهين لأسرار كتابهم.

من المؤكد أن صدى صوت بهاءالله قد تردد بين تلك الهضـاب المقدسة بمناسبة زيارة البابا بول. ولابد أن كلماته تـرددت مثـل صوت الرعود المدويـة بين ثنايـا جنبـات جبـل صـهيون والقـدس وبيت لحم والناصرة حيث قيلت في الأصل لأول مرة.

"أن يا بابا.. قد أتى الآب.. يا معشر البطارقـه! إن الذي وعدتم به في الألواح قد أتى"

"يا معشر الأساقف! قد أتى رب الأرباب".

"قـل يـا ملأ الأسـاقف! انطقـوا بـذكر ربكم بين السموات والأرضين"

"قل ياملأ القسيسين! دعوا النواقيس ثم اخرجـوا من الكنائس.. قد أتى الرب ذو المجد الكبير"

"ياملأ الرهبان! .. اخرجوا بـإذني.. كـذلك يـأمركم مالـك يـوم الـدين.. تزوجـوا ليقـوم بعـدكم أحـد مقامكم"

"يـا ملأ النصـارى! .. تـدعونني وغفلتم عن ظهوري.. يا ملأ الإنجيل! إنه (المسيح) قال تعاليـا لاجعلكمـا صـيادي الإنسـان، واليـوم نقـول تعـالوا لنجعلكم محيي العالم"

وبتهكم، حذر بهاءالله في خطابه للبابا بيوس التاسع "الحبر الأعظم"، بأن لا يكرر نفس الخطأ الذي ارتكبه كبار الأحبار وقادة الأديان في أيام المسيح. وكتب:

"إنك من شموس سموات الأسماء احفظ نفسك لئلا تغشيها الظلمة وتحجبك من النور".

لقد حذر السيد المسيح بنفسه من مثل هذه المصيبة. ففي إصحاح متى، الذي أعطى فيه المسيح العديد من الإثباتات بميعاد مجيئه؛ حذر كذلك، أن الشمس سوف تظلم والقمر لن يعطي نوره والنجوم تتساقط من السماء وتهتز قوات السماء.

فالمعنى الذي شرحه حضرة بهاءالله لهذه النبوءات، كان واضحاً. فـ "الأقمار" هم قادة الأديان الذين يستمدون نورهم من شمس المسيح. فهم "الأقمار" و "النجوم"، لابد أن يختفي نورها كل صباح عند اشراق شمس يوم جديد. وعلى ذات المنوال، عندما تشرق "شمس" المسيح من جديد، تظلم شمس اليوم الماضي؛ أما إذا رفض القمر ضوء الشمس الجديدة، فإنه سيظلم أيضا ولن يلقي نوره على مشاكل البشر.

كان هذا هو معنى كلمات حضرة بهاءالله عندما ناشد قادة الأديان بعدم الابتعاد عن رسالته:

"أنتم أنجم سماء علمي، وفضلي لا يحب أن تتساقطوا على وجه الأرض"

بقيت مهمة أخرى للبابا بول صاحب الأرقام القياسية في كثرة التجوال.

زار البابا بول المجلس الكنسي العالمي في سويسرا في يونيو عام 1969، وبهذا الشكل جمع معاً قادة الطائفتين الكاثوليكية والبروتستانتية. حصلت تلك الزيارة بعد مائة عام من حث بهاءالله لبابا روما بيوس التاسع وارشاده بفعل ما يلي بالتحديد: (لتقديم تعاليمي المقدسة لبقية قادة البشر الدينيين، عليك "بالشرب" منها بنفسك أولا، ثم تقديمها لبقية أتباع الأديان).

لقد سبق واجتمع قادة المجلس الاستشاري لكنائس البروتستانت من قبل. وخلال إحدى اجتماعاتهم العالمية، أعلنت

الصحافة، أن المندوبين أقروا باستحالة الى تصويت في موضوع رجعة المسيح، حيث أن الممثلين لـ 163 طائفة من 48 بلد، عارضوا بشدة وفي الأساس السؤال المطروح: "إذا كان الأمل المسيحي في تحقيق إنشاء مملكة الله في هذه الدنيا، أم فقط بعد العودة الأخرى للمسيح".

إنه قد أتى وقد ذهب!

منذ أكثر من قرن وربع القرن، وتقريبا لمدة ثلاثة عشر عقدا، طاف كل من الباب وبهاءالله وعبد البهاء، وكذلك اتباع بهاءالله، مختلف أنحاء العالم في أكثر من 30000 مركزا مختلفا، وهم يخبرون العالم المسيحي، أن المسيح قد عاد بالفعل، إنه قد أتى ومضى، تماما كما ذكر الإنجيل ذلك، وكما سبق وحذر المسيح: "كل العيون سترى مجده"، وإنه "سيأتي كلص في الليل". والقصة الرمزية التي ذكرها أوضحت ذلك، فاللص "الإلهي" قد يأتي ويذهب! وقد حدث ذلك منذ أكثر من مائة عام! ولهذا يصرف العالم المسيحي الساعات وهم يتجادلون فيما إذا كان بإمكانهم تأسيس مملكة المسيح الآن، أم فقط بعد عودته، ولهذا قطع بابا الكاثوليك كل أولوياته وذهب للالتقاء بهم.

ومن المحزن أنه لم يكن لديهم شيء ليقوله بعضهم لبعض عند لقائهم. وفي الواقع.. ان البابا لم ينتبه للحافز الذي أرسله الى هناك، ولم يظهر لأنصاره، أي انتباه للرسالة ذات العلاقة.

وهكذا.. عاد الجميع إلى ديارهم.

الجزء السادس: القادة العميان

هكذا كتب بهاءالله إلى رجال الدين المسيحى في وقتة قائلا:

" لمّـا تفرسنا، وجدنا أكثر أعدائنا العلماء".

وخاطبهم مباشرة قائلا:

"إلى مــتى توجهــون ســيوف البغضــاء في وجــه البهـاء.. لا تتصـرفوا بـأهوائكم الـتي غـيرت وجـه العالم".

حاول بهاءالله فتح عيونهم وآذانهم عسى أن يسـمعوا "النغمـة الجديدة" التي سبق وتحدث عنها النبي إشعيا، فتفضل قائلا:

"نزهوا آذانكم لتسمعوا النـداء الإلهي.. هـل يقـدر أحــد منكم أن يجــول مــع هــذا الغلام الإلهي في مضمار الحكمـة والبيـان أو يطـير معـه في سـماء المعــاني والتبيــان.. هــل يقــدر صــاحب الأرجــل الخشــبية أن يقــاوم مــع من جعلــه اللــه صــاحب الأرجل الفولاذية؟ لا قسماً بمن ينير العالم".

لقد عرض بهاءالله بحراً من البراهين لقادة جميع الأديـان على أنه هو "الذات" المنتظر؛ وبالرغم من ذلك لم يرفضـه الكثـيرون فحسب، بـل قـاوموه واضـطهدوه بشـدة وحـاولوا القضـاء عليـه وعلى تعاليمه. وتقريبا دون استثناء، قام القـادة الـدينيون جميعـا بأخذ زمام القيـادة في اغلاق البـاب أمـام وجـوه أتبـاعهم، كلمـا وجدوا منهم اهتماما برسالة بهاءالله.

إن هجمــات أتبــاع رجــال الــدين ضــد هــذا الظهــور الإلهي، واستعدادهم لترديد ما يصلهم من قادتهم من كـذب وإفـتراءات، تحمل في طياتها ذات أصداء تصرفات معارضي الدين المسيحي في أيام ظهوره الأولى.

ولا عجب أن يكتب بهاءالله لمثل رجال الدين هؤلاء:

" يا أيها الجهلاء المعروفون بالعلم.. لماذا تـدعون في الظاهر بـأنكم الرعـاة ثم غـدوتم في البـاطن ذئاب أغنامى".

وليس من الغـريب أن يحـذر المسـيح بنفسـه من مثـل هـؤلاء الرعاة العمي لأغنامه قائلا: "أتركوهم فانهم عميان قادة عميــان وإذا كان أعمى يقود أعمى فكلاهما يسقطان في حفرة"

ومع ذلك، لم يقلل بهاءالله من أهمية قادة العالم الدينين، بــل بـالأحرى مـدح بصـراحة من تـوافقت أعمـالهم وتصـرفاتهم مـع أقوالهم، فقال:

" كان ولا يزال هداية العباد بواسطة تلك النفوس المقدسة".

وكتب أيضا عن مثل هؤلاء من أي دين أو طائفة كانوا:

" يصلين عليـه أهـل الفـردوس والـذين يطوفـون حول العرش في البكور والأصيل".

وصـرّح عنهم أيضـا: مثـل هـؤلاء العمالقـة الروحـانيون، سـواء كـانوا مسـيحين أو يهـود أو مسـلمين أو من أي دين كـان، "إنهم بمثابة الروح لجسم العالم"، وبمثابة "بصر العالم".

في عـــام 1893م، قـــام اثنـــان من المبشـــرين المســـيحيين بتعريـف الأمـر البهـائي لأمريكـا في البرلمـان العـالمي للأديـان، أحدهما كتب مقالة وصف بها بهاءاللـه بـ "شـبيه المسـيح"؛ أمـا الآخر، فقرأ الوثيقة لجمهور الحضور.

أكثر من أربعمائة رجل دين مسلم بـارز، بعضـهم من مشـاهير البلاد، اعتنقـــوا واعـــترفوا بـــ "البـــاب" و"بهاءاللـــه" كرســـولين موعودين من الله عز وجل، وقدموا تضـحيات عظيمـة من أجـل إيمـانهم، بـل واستشـهد العديـد منهم. ومنـذ ذلـك الحين، اعتنـق رجال دين من مختلـف الـديانات تعـاليم بهاءاللـه، من قساوسـة كاثوليــك الى كهنــة بــوذيين، وفي جميــع حــالاتهم تقريبــا، كــان يتجنبهم رفــاقهم الســابقون ويســخرون منهم ويتهكمــون عليهم ويضطهدوهم، وفي بعض الحالات يقتلوهم.

لقد بات متأخرا القدرة على رأب صـدع ورتـق شـذرات قطـع المسيحية المثيرة للشفقة. فالمئـات من الطوائـف ذات الألـوان الفسيفسائية الغريبة المختلفة، تتنافس فيمـا بينهـا على القيـادة الروحية. وحتى علامات الأمل الـتي تسـاهم في رسـمها شـعوب الارض، فهي ليست سـوى نتـائج غـير مباشـرة لرسـالة بهاءاللـه

الداعية للاتحاد؛ وما تجرفه رياح التغيير للقطع المحطمة المتناثرة نحو غاية "الاتحاد" المشترك، هي تقريبا ضد رغباتهم.

وحتى لو اتحدت جميع الطوائف المسيحية، فسيبقى اليهود والمسلمين والبوذيين والهندوس والزردشتيين والملحدين والكفرة والناس البدائيين. أما دعوة بهاءالله "الآب"، فقد مدّت يدها لاحتضان جميع الأديان وجميع البشر، وليس المسيحيين فقط.

حزن بهاءالله من تجاهل وخمول جموع المسيحيين الذين قدمت لهم فرص عديدة، بينما جموع ورثة بقية الأديان يدخلون دين الله أمام أعينهم، فقال يخاطبهم:

" يا ملأ الإنجيل قد دخل الملكوت من كان خارجا منه واليوم نراكم متوقفين لدى الباب.. أن افتحوا أبواب قلوبكم.. إنا فتحنا لكم أبوب الملكوت هل أنتم تغلقون على وجهي أبواب البيوت؟".

وفي إشارة شعرية لظهوره في الشرق، كما تنبأ عنه في الكتاب المقدس، ونفيه الى أرض المسيح، حيث تأسست مملكته الإلهية، قال ما ترجمته:

"يا بيت لحم! إن هذا النور قد ارتفع في الشرق، وسافر الى الغرب، حتى وصلك في نهاية مطافه. فقولي لي إذن: هل تعرّف الأبناء على الآب واعترفوا به، أم أنكروه كما أنكر الناس المسيح من قبل؟".

الفصل الخامس عشر

قد اشتعل قلب العالم

سيخوضون إنفعالاً لن ينسوه أبداً

الجزء الأول: ثوار الله

إن أمة بهاءالله العالمية، قامت بشكل كبير نتيجة لجهود الشباب، فمئات من الشباب من الجنسين كانوا مستعدين لتقديم حياتهم عن طيب خاطر فداء للبشرية، وذلك من خلال الأحداث الدرامية والإضطهاد الذي قع عليهم من ملوك العالم. هكذا ولد هذا الظهور.

فجأة، وجد ثلاثمائة وثلاثة عشر شاباً من الولهين بمحبة الله وممن أمضوا غالبية حياتهم في التعبد والخلوات الدينية، وجدوا أنفسهم في حالة دفاع عن النفس مقابل جيش عرمرم مدرب ومجهز بالأسلحة المختلفة ومساند من جموع الناس ومبارك من رجال الدين ويقوده أمراء من دم ملكي ومساندين بموارد الدولة.

نهض هؤلاء المؤمنون الرواد المخلصين لحضرة الباب، كروح واحدة ضد الفساد والنفاق في مجتمعهم. فأصبحت ثورتهم الروحية ضد الظلم، "البذرة" التي بدأت تثمر فواكه على شكل نظام عالمي هدفه رفاهية ووحدة الجنس البشري.

أنه أمر لا يستهان به، فلقد وصف الكاتب الفرنسي "رينان" في كتابه "الرسل"، أحد الأحداث الدرامية أثناء نهوض الدين البهائي: "لعلّه يوما لا مثيل له في تاريخ العالم".

أكثر من عشرين ألف من الأتباع قتلوا في بلاد فارس فقط، غالبية هؤلاء المؤمنين الرواد، ذبحوا في سنة واحدة، ففاق عددهم عدد المسيحيين الذين استشهدوا بقرار حكومي روماني خلال سنوات الاضطهاد الشديدة الثمان على يد الإمبراطور ديوقليدس.

وكتب اللورد كرزون من كدلستون: "إنّ دينًا في مقدوره أن يوقظ في أتباعه مثل هذا الرّوح النّادر النّبيل من التّضحية بالنّفس والنّفيس ليس بالشّيء الّذي يمكن الاستهانة بشأنه".

إن الروح الـتي ألهمت وحـركت هـؤلاء المـدافعين المخلصـين من أوائل المؤمنين، كانت مؤثرة جـدا لدرجـة أن البروفيسـور أ. ج. براون، من جامعة كامبردج، قال: "قلما تعجز عن التأثير بقوة في كل من يتعرض لها.. مـا أن تظهـر لهم هـذه الـروح نفسـها، حتى يحسوا بشعور لا أعتقد أنهم قادرون على نسيانه أبداً".

إن العالم الناضج في الوقت الحـالي، تمسـكه قبضـة الشـباب الحديدية التي لا يمكن فهمهـا ولا التحكم بهـا، فيقـف جانبـا على الهـامش وهـو يـراقب بيـأس أحبائـه يلقـون في النـيران دفعـة واحـدة. ومـع نـزق الشـباب، فـإن ثورتـة تجـرف بعيـدا الجيـد والـرديء، ومن الصـعب والمـؤلم جـدا أن تقلـع أشـجار صـالحة لتعالج غابات الأشجار المريضة، فتسـقط كـل الأشـجار. واقـترن التمرد العرقي مع ثورة الشباب بدرجة أصبحا في حالات عديـدة أمراً مبهمـا. إنـه يخـرج من حـرم الجامعـات الى الشـوارع وإلى البيوت ليهدد بإحتواء كـل المجتمـع، فبـدى الثـوار رغم نضـجهم، كمن يرمي الطفل وماء استحمامه، حتى لا يطردهم الجيران.

والحقيقة أن جميع الحضـارات أدامت نفسـها لفـترات طويلـة حتى بعد مفارقة "الروح" التي تسببت في ولادتها. فنحن نطالب الحضـارة الغربيـة في يومنـا هـذا بالحيويـة والنقـاء والاسـتقامة والشـجاعة لشـبابها رغم مـا تعانيـه من أمـراض الشـيخوخة. إن تصلب الشرايين الروحانية قد بدأ، وتحاول التقاليد الدينية الغــور عميقا في برميل مصادرها الروحانية للعثـور على أيـة حلـول، إلا أنها تخرج خاوية. وباستمرار.. يحـاول قـادة الأديـان والحكومـات في المؤسسات القديمة "التوفيق" فيمـا بينهمـا. و"يثـق" هـؤلاء القادة أن مشاكل العـالم "وقتيـة"، ولا شـك أنهم سـيجدون حلاً لهذه الأزمات العابرة فيما لو تحلى الشباب بالصبر الكافي.

ويبدو أن ممثلو الأنظمة السائدة عاجزين بشكل ما على تقبل فكرة عدم إمكانية العودة الى الماضـي لمحاولـة حـلّ المشـاكل على مستويات أسس وطنية وقوميـة فقـط. فـأي حـلّ لا يسـتند على رؤيـة عالميـة لحاجـات البشـر الصـارخة، مصـيره الفشـل. ناهيك عن الطوائف الدينية التي ليس لها علاقـة في زمن يحتـاج للتوحد كضرورة للبقاء. فلم يعد بالإمكـان إطلاق صـواريخنا على علاف خيولنا. إن المجتمع العـالمي يميـد تحت أقـدامنا وجـدران الحضارات تتسـاقط من خلفنـا، ومازلنـا نحـاول إخفـاء ذلـك. إن

العالم اليوم لا يعـاني من عـدم تـوازن عـابر، بـل من آلام مـوت نظام عقيم مهترئ. لقد أصـبحنا مجتمعـا يسـعى للـربح بـدلا من صنع الرفاهية، ويبحث عن النسيان بدلا من الحقيقة. إن مصــادر كوكبنا المادية الهائلة تنفق على أسلحة الحروب والـدفاع، وليس على الصحة والتعليم والقضاء على الفاقة والعوز.

فكيـف بالامكـان توجـه الشـباب أو أي أمـة، لطلب المشـورة بخصـوص السـلام ورفاهيـة العيش من وكـالات أوجـدت أساسـا لانهاء الحرب والهدم؟

الجزء الثاني: الإنقلاب الروحاني

حذر بهاءالله من الانقلاب الروحاني الذي يجتاح اليوم حتى العائلة باعتبارها حجر الأساس في النظام الاجتماعي. ومهما كانت العملية مؤلمة، فقد حذر من الجهود المبذولة للدفاع عن القيم والمؤسسات القديمة التي تمنع الناس بسبب وجودها من الانتباه الى الحاجة الملحة لنظام اجتماعي جديد يستند على الالهامات الالهية.

إن المبادىء التي يقوم عليها المجتمع البهائي تعلن صراحة:

"إذا عجزت القيم العزيزة القديمة، وافلست المؤسسات المقدسة السابقة، وكفّت المؤسسات الاجتماعية والدينية قدرتها على التجاوب مع احتياجت البشر المتنامية باستمرار وتحقيق رفاهية غالبيتهم، فلتترك جميعها وتبعد جانباً ولتوضع في دهاليز النسيان مع ما سبقها من العقائد المهملة القديمة. فلماذا تحصّن وتستثنى دون بقية مؤسسات البشرية قاطبة، في عالم تحكمه سنّة شاملة ثابتة قائمة على الضعف والتغيير والتبدل؟ فمعايير القوانين والنظريات السياسية والبرامج الاقتصادية، ما وضعت الا لحماية مصالح البشرية جمعاء، وليس لصلب الناس على أعواد مشانقها".

إن البهائيون يرون الإنهيار الإجتماعي الحالي، عملية طبيعية لا مرد لها، إلا أنه يمكن في حالة واحدة فقط، كبح جماحها وتغيير مسارها سلميا، إذا انعطف الناس والأمم إلى المصدر الأساس لكل الحضارات الانسانية.

إن البهائيون يطيعون بحزم حكومات البلدان التي يسكنونها، وبهاءالله بذاته أمرهم التصرف بـ "أمانة وإخلاص ومصداقية" مع حكومات بلادهم. إن تعاليمه لا تطلب من البهائيين أن يقتصر ولاؤهم لحكوماتهم فقط، بل حرّمت عليهم أيضا، أي تدخل في الحركات السياسية.

على البهائيين في كل مكان واجب مقدس في السعي لترقية مصالح حكوماتهم وشعوبهم بأفضل السبل دون اقحام أنفسهم في الشؤون السياسية والنشاطات الدبلوماسية لأي حكومة.

وهم يعتقدون أن الوطنية الحقة لا تتعارض مع ولاء الإنسان الأسمى لله تعالى ولرفاهية الجنس البشرى.

وفي هذا الإطار الواضح المستقيم، فإن البهائيون يعملون باجتهاد لتغيير كل ما هو طالح وظالم بكل الوسائل المتاحة. وفوق كل ذلك، يبحثون عن تغيير قلوب البشر، فلا يمكن إيجاد نظام عالمي جديد، إلا إذا كان هناك ضمير عالمي جديد. إن فئة الشباب هي الفئة التي تبدو أكثر تفهما لأهمية هذا التوازن، ويا للسخرية.. فإن هذه الشريحة من المجتمع والتي توصف بـ "غير المسئولة" والعنيفة، هي الأكثر تفهما لحاجة الإنسانية للأخلاقيات والتجديد الروحاني.

تذكر كتابات بهاءالله أن "أهم واجب حيوي" كلف به البهائي، هو "تطهير" الذات. فكل بهائي مأمور بالتصرف بأخلاق حميدة الى درجة أن يشار اليه بالبنان بين الناس. وعلى ما يبدو في الظاهر أن هذه الأهداف المستحيلة يمكن تحقيقها فقط بما أبدعه يراع بهاءالله من جامعة حقيقية ومجتمع يناسب البشرية للعيش فيه.

يقول بهاءالله، إن الله يحب ويؤيد في هذه الأيام "أولئك الذين يعملون في سبيله متكاتفين". مثل البدن السليم، تقدم جامعة بهاءالله، الغذاء الروحاني الذي تحتاجه كل خلية في الجسد. فليس هناك سبيل آخر للحياة.

وبعيدا عن التشاؤم، فقد أدركت الجامعة البهائية أن أوجاع الأمراض التي ابتلي بها المجتمع اليوم، هي "رعشة الموت" لحضارة تحتضر، وفي نفس الوقت، هي "آلآم ولادة" لأسس حضارة انسانية جديدة و"فلك نجاة البشرية"، تنهض بقوة وجمال على أطلال الحضارة القديمة.

ساعة الانتصار النهائي

الجزء الثالث: مجتمع عالمي

إن مجتمع بهاءالله كان منذ أيامه الأولى مجتمع شباب، فلم يتجاوز عمر المبشر بالدين البهائي "حضرة الباب"، عند بداية رسالته المقدسة، عن 25 ربيعا، وكان عمره 31 عاما فقط عندما صوّب نحوه 750 جندي من فرقة الإعدام بنادقهم. أما

رفيقه الذي استشهد معه في تلك المناسبة ورأسه يستند الى صدر مولاه، فقد كان عمره 18 عاما فقط.

إن جميع أعمار حواريي حضرته كانوا شبابا، فالأول كان في السابعة والعشرين والأخير في التاسعة عشر. وبهاءالله بذاته لم يتجاوز السابعة والعشرين عاما عندما بدأ بنشر تعاليم الباب في مقاطعته المحلية، و 36 عاما عندما بدأ رسالته المقدسة. وكان عمر "عبدالبهاء" تسعة أعوام عندما أدرك لأول مرة المكانة العظيمة لوالده "بهاءالله". كان طفلا صغيرا عندما رأى بهاءالله يكتنفه الألم والمعاناة تحت وطأة وثقل السلاسل الحديدية في سجن الجب الأسود، وكان عمره 19 عاما عندما غادر العراق منفيا مع والده، ولم يكن عمره سوى 24 عاما عندما وصل إلى مدينة السجن عكاء وأسند "بهاءالله" له مسئولية التعامل مع العالم الخارجي. وفي نهاية عقده الخامس، وبعدما وفاة والده، ألقي على عاتقه مسؤولية إدارة شؤون العالم البهائي.

ميرزا مهدي، أخ عبدالبهاء الأصغر، لم يكن عمره سوى 22 عاما عندما ضحى بحياته في سجن عكاء على أمل أن تفتح أبواب السجن وتلمس روح وحي بهاءالله المقدسة، قلوب البشرية جمعاء. وحفيد عبدالبهاء، ولي أمر الدين البهائي، "شوقي أفندي"، كان عمره 25 عاما عندما تسنم القيادة العالمية للدين البهائي.

كما أن عضوية الهيئة الإدارية العالمية الحالية (بيت العدل الأعظم)، وهي أعلى هيئة منتخبة في الدين البهائي والتي وصفت في الآثار البهائية بـ "الملجأ الفريد" لهذه "الحضارة المتداعية"، قد تألفت من 9 أفراد، ويشكل الشباب نسبة كبيرة من أعضائها.

أما الرسول الذي حمل رسالة بهاءالله الجبارة الى ناصرالدين شاه، فكان بالكاد صبياً لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، وكانت عائلته يائسة من تصرفاته، واعتبروه كما يقال اليوم عن أمثاله بـ "المهمل". ومع ذلك فقد اختاره بهاءالله من وسط جموع المتطوعين لهذه المهمة الجليلة. ووحيدا.. مشى على قدميه كل المسافة من السجن على البحر الابيض المتوسط الى طهران عاصمة إيران، في رحلة دامت أربع شهور. كان اسمه "آقا بزرك"، معروف بإسم "بديع"، وبمجرد تسليمه

الرسالة لناصرالدين شاه، اعتقل وكوي بالحديد المحمى وعـذب لثلاثة أيام متوالية، وفي النهايـة ضـرب حـتى لقي حتفـه والقيت جثته في حفرة.

وقد كتب حضرة بهاءالله عن ذلك الشـاب: "نفخنـا فيـه روحـا من لدنا"، وامتدحه باستمرار زهاء ثلاثة أعوام في آثاره المباركة قائلا ان هـذه التضـحية كـانت مثـل "ملح" في الغـذاء الروحـاني الذي تحتاجه البشرية.

في كل أنحاء العالم، في أفريقيا، آسيا، أستراليا، جـزر جنـوب الباسفيك، أمريكـا اللاتينيـة وأوربـا، تـزداد أعـداد الشـباب الـذين يعتنقـون دين بهاءاللـه كـل سـنة. وهـؤلاء المراهقـون والشـباب يشكلون الأغلبية لجيش بهاءالله الروحاني الجديد.

لا توجد في الجالية البهائية "فجوة أجيال"، كما هـو الحـال في عدم وجود فوارق بين الأعراق والطبقات. إن الافتقـار للتواصـل الاجتماعي الذي يسبب انشقاقا في مجتمعنا المـريض، لن يـدوم إذا تقبل كل فرد غيره كما هو عليه دون اعتبار للسـن أو العـرق أو الجنس أو.

إن أحد حواري "الباب"، شاب في التاسعة عشرة من عمـره، (القدوس) كـان أول من قاسـى العـذاب على الـتراب الإيـراني، وشارك في جميع مراحل التعـذيب . جنبـا الى جنب مـع حـواري آخر عجوز (الملا حسين) " صـمدا في دورة من دورات التعـذيب بمعجـزة أمـام ألـف جلـدة على ظهـره. لقـد قاسـيا معـا كأتبـاع مؤمنين. وهى متكررة دائما.

فترة الشباب في الأساس، ليست حالة زمنية معينة، إنها حالة عقلية؛ فالسنين تجعد البشـرة، لكن فقـدان المثـل العليـا يـؤدي إلى تجعّد روح الانسان وذبولها، مهما كان عمره، شابا أو مسناً.

لم يأت بهاءالله لفئة معينة، بل جاء للعالم أجمع، ودينـه دعـوة للشباب وللكبـار على حـد سـواء، ليقـوم الجميـع بتبليـغ تعاليمـه لشفاء واصلاح عالم تسيطر عليه أهواء الحياة الشخصية. ويقدم بهاءاللـه تحـدياً يختـبر فيـه اليـوم عزيمـة وجَلَـد وإيثـار وتضـحية واخلاص جميع الناس من مختلف الأعراق والثقافات والأمم ومن جميع المستويات الاجتماعية.

هذه هي كلمات شوقي أفنـدي، حفيـد بهاءاللـه الأعظم الـتي ألهمت وقادت انتشار رسالة الله حول العالم:

(.. على الأحبـاء الاعـزاء المؤيـدين والعـاملين في ظـل تأييـد حضرة بهاءالله الروحاني ممن يشكلون جحافل جيشه المتقدمـة قبالة أي تهديد يلاقونـه وتحت أي منـاخ يناضـلون فيـه وتحت أي ظـرف من الظـروف.. سـواء في المنـاطق البـاردة المحيطـة بـالقطب الشـمالي أو الاسـتوائية الحـارة من الشـرق والغـرب، على حدود غابات بورمـا، ماليزيـا والهنـد؛ على أطـراف صـحراء أفريقيا أو شبه الجزيرة العربية، في الجزر الفريدة المنعزلة من الأطلسـي والهـادى وبحـر الهنـد وبحـر الشـمال، بين القبائـل المتنوعـة لزنـوج أفريقيـا، بين شـعوب الاسـكيمو واللابـيين في المناطق القطبية وفي منغوليا في الشـرق أو في جنـوب شـرق آسيا بين القبائل القاطنة في جزر جنوب المحيـط الاطلسـى، او تحت وطـأة تحفظـات الهنـود الحمـر في الأمريكـتين أو بين المـاوريين في نيوزيلانـدا والسـكان الأصـليين لأسـتراليا أو في معاقل تعصـب المسـيحيين والمسـلمين سـواء أكـانوا في مكـة، روما، القاهرة، النجف، كربلاء أو في المـدن الـتي ينغمس أهلهـا في الماديات ويتنفسون ما يحيطهم من رياح الكراهية والتعصب ويجدون أنفسهم إما محاطين بسلاسل الماديـة الشـديدة أو بين من يتنفسـون هـواء التعصـب العـدواني، أو مصـفدين في أغلال كراهيـة من سـقطوا تحت وطـأة قـوى التعصـب والعنصـرية ومواجهين بضيق الأعداء.. نقول لهم جميعا بالاضـافة الى أولئـك الذين وهبوا أنفسهم لتحقيق وأزدهار المشروع الالهي، بأنهم هم الذين لبوا النداء وقاموا رغم كل ما واجههم من صعاب.. لنصـرة هذا الدين القاهر، سواء كانوا وسط الهنـدوس يسـاهمون بـدعم الكلمـة الالهيـة لكسـر النظم القديمـة الـتي عفى عليهـا الـزمن لرفعهم الى درجات أعلى وكذلك لتقديم البديل الذي يستغنى به عن تعاليم الدين البوذي وكسر قيـود مؤسسـاته ونظمـه الدينيـة بقوى المؤسسات الالهية وبالانتصارات التي يحصـلون عليهـا من نظام حضرة بهاءالله الذي سيتغلغل في غابات الامازون ويصـعد الى الجبال في مناطق التبت ليؤسس ويواجـه مباشـرة الجمـوع الـتي ستسـتقبله مستبشـرة حـتى في وسـط الصـين ومنغوليـا واليابان، فيجلس الاحباء بينهم ويتناقشون ويتشـاورون حـتى في داخل مستعمراتهم وداخل أسـوار روسـيا او حـتى في المنـاطق

المتنـاثرة والتجمعـات القليلـة في سـيبريا؛ اني أناشـدكم جميعـا لاطاعة حضرة بهاءالله والعمـل بمـوجب تعاليمـه حـتى تغمـركم التأييـدات الالهيـة وينصـرنكم جنـود الملأ الاعلى اسـتعدادا ليـوم الأيام الذي تظهر فيه الانتصارات الالهية. عندها سنحتفل بسـاعة النصر النهائي). من رسائل موجهـة للعـالم البهـائي صـفحة 37-38. (مترجم).

فهبّ الناس من جميع الأعمار، بالمئات والآلاف من كـل الأمم والأعراق، لتلبية هذا النداء.

يتفضل حضرة بهاءالله مـا ترجمتـه: "إن الأمـر الإلهي قـد هيـأ قلب العـالم للاشـتعال، فكم هـو مؤسـف إذا فشـلت أنت في إيقاده".

وليم سيرز، كاتب ومخرج تلفزيوني، حاز على جمهور كبير من المستمعين وعدد من الجوائز في الولايات المتحدة. كتب ومثّل في برنامجه "CBS" و"في الحديقة"، وله عمل آخر عرف في دليل التلفزيون، هو الأكثر شيوعا في مجاله.

في عام 1953، شرع السيد سيرز في أول سلسلة لرحلاته الواسعة في افريقيا والشرق الادنى ليجمع مستلزمات كتبه التالية: "لص في الليل"، "دع الشمس تشرق"، "الله يحب الضحك" و "الخمر المذهل".

وخلال رحلاته.. خطرت له بالمصادفة قصته "السجين والملوك".

ملحق الصور

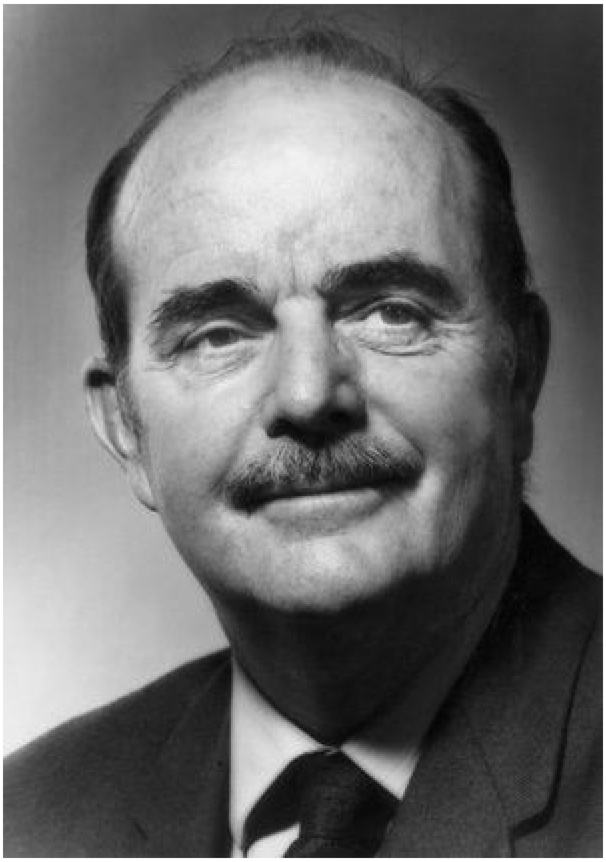

المرحوم ويليام سيرز William Sears عاش (1911-1992م)

مؤلف هذا الكتاب The Prisoner and the Kings باللغة الإنجليزية

خارطة تبين خط سير رحلات نفي حضرة بهاء الله من طهران إلى بغداد سنة 1853م و من بغداد إلى إستانبول سنة 1863م و منها إلى أدرنة (ارض السر) حيث نفي في اغسطس 1868م إلى مدينة السجن الأعظم عكا في رحلة بحرية انطلقت من ميناء غلبولي مرورا بالاسكندرية و بور سعيد و حيفا و انتهاءاً بعكا التي عاش فيها و في نواحيها بقية سنوات ولايته حتى صعوده سنة 1892م.

صورة نادرة من سجن سياه جال (الجب الاسود) جنوب طهران الذي سجن فيه حضرة بهاء الله مع أكثر من مائة و خمسين سجيناً سنة 1852م و شهد بداية ولايته المباركة ونزول التكليف الإلهي عليه بتجلي الروح الأعظم عليه.

صورة للسلسلة الحديدية الضخمة التي ربطت حول عنق حضرة بهاء الله خلال فترة سجنه في سياه جال الجب الأسود وتعرف باسم "قره جوهر " أثقل "السلاسل" وتزن نحو 51 كلغ.و قد تركت أثارها على عنقه و معصميه.

مشهد لمدينة أدرنة(في الشطر الاوروبي من تركيا) التي نفي إليها حضرة بهاء الله و عاش فيها في الفترة (1863-1868م) و عرفت في أثاره بأرض السر و السجن البعيد التي شهدت الإعلان العالمي لرسالته المباركة و منها بدأ بمخاطبة ملوك و رؤساء زمانه.

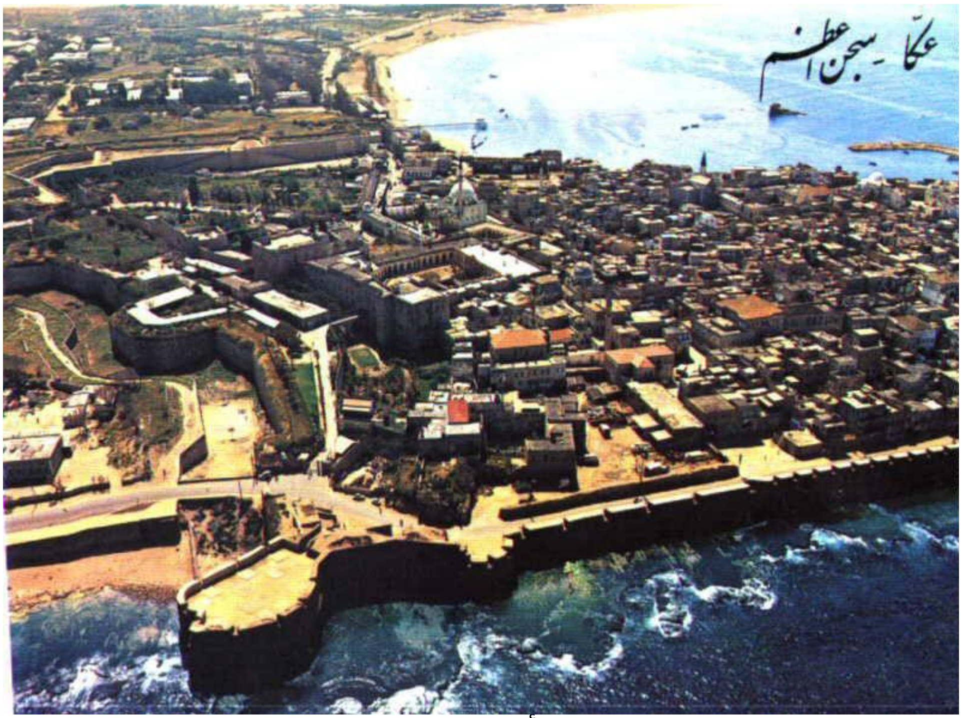

صورة جوية لـمدينة السجن الأعظم عكا التي نفي إليها حضرة بهاء الله مع عائلته و عدد من أتباعه بموجب فرمان السلطان عبد العزيز سنة 1868م.و داخل أسوار هذه المدينة نزل الكتاب الاقدس سنة 1873م أقدس كتب دورته المباركة

قلعة سجن عكا التي سجن حضرة بهاء الله مدة سنتين وشهرين و خمسة أيام منذ 31

أغسطس 1868م

ناصر الدين شاه قاجار عاش (1831-1896م) سلطان العجم نجل محمد شاه قاجار و قد اعتلى العرش و هو لا يزال قاصراً منذ 17 سبتمبر 1848م و بقي على عرش إيران حتى اغتياله في ضريح شاه عبد العظيم في 1 ماي 1896م و في عهده كان استشهاد حضرة الباب في 9 يوليو 1850م و ولاية حضرة بهاء الله (1853-1892م)

السلطان العثماني
عبد العزيز عاش (
1830- 1876م)
حكم (1861- 1876م)
الذي أصدر فرمان نفي
حضرة بهاء الله و عائلته إلى السجن الاعظم في عكا

نابلوين الثالث عاش (1808-1873م) ابن لويس بونابرت شقيق نابليون بونابرت

رئيس جمهورية فرنسا منذ 10 ديسمبر 1848م و إمبراطورها من 2 ديسمبر 1852 و حتى 4 سبتمبر 1870م.

ويلهام الأول **Wilhelm I** عاش (1797-1888م) ملك مملكة بروسيا (2 يناير 1861-9 مارس 1888م) و إمبراطور ألمانيا الموحدة (18 يناير 1871-9 مارس 1888م)

القيصر

ألكسندر الثاني نيكولايفيتش رومانوف عاش (1818-1881م)
دوق فينلندا الكبير و قيصر روسيا من 22 مارس 1855م و حتى اغتياله 13 مارس 1881م

ألكسندرينا فكتوريا Alexandrina Victoria عاشت(1819-
1901م) ملكة بريطانيا العظمى و إيرلندا من20 يونيو 1837 و
إمبراطورة الهند منذ 1ماي 1876م و حتى وفاتها 22 يناير
1901م

فرانز

جوزيف الأول Franz Joseph I عاش (1830-1916م)
إمبراطور إمبراطورية النمسا و المجر من 2 ديسمبر 1848 و
حتى وفاته 21 نوفمبر 1916م

البابا بيوس

التاسع و لد باسم جيوفاني ماريا ماستاي – فيريتي و عاش (1792-1878م) و اعتلى كرسي البابوية في روما 16 يونيو 1846م و استمرت ولايته قرابة 32 سنة و اشتهر بأنه صاحب مرسوم العصمة البابوية سنة 1869م و أخر بابا ذو سلطة حكم سياسية و قد أجبر على التخلي عن روما بعد توحيد إيطاليا سنة 1870م و صار حبيس الفاتيكان حتى وفاته 7 فبارير 1878م

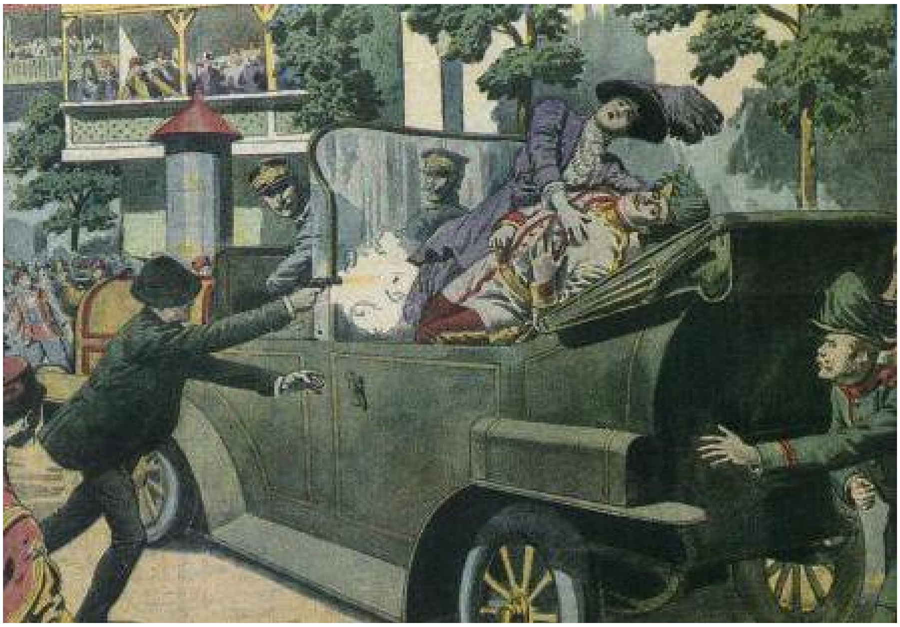

اغتيال ابن شقيق إمبراطورية (النمسا-المجر) ولي العهد النمساوي و زوجته في سراييفو عاصمة إقليم البوسنة و الهرسك بتاريخ الأحد 28 يونيو 1914 م من قبل الطالب الصربي غفريلو برانسيب **Gavrilo Princip حيث أطلق رصاصتين من مسدسه الشبه أتوماتيكي من نوع 1910FN Model caliber380 فأصاب ولي العهد الارشيدوق فرانز فرديناندArchduke Franz Ferdinand برصاصة في العنق و أصاب زوجته برصاصة في الصدر فماتا على الفور على الساعة الحادية عشر صباحاً.و كانت تلك الحادثة شرارة اندلاع الحرب العالمية الأولى.**

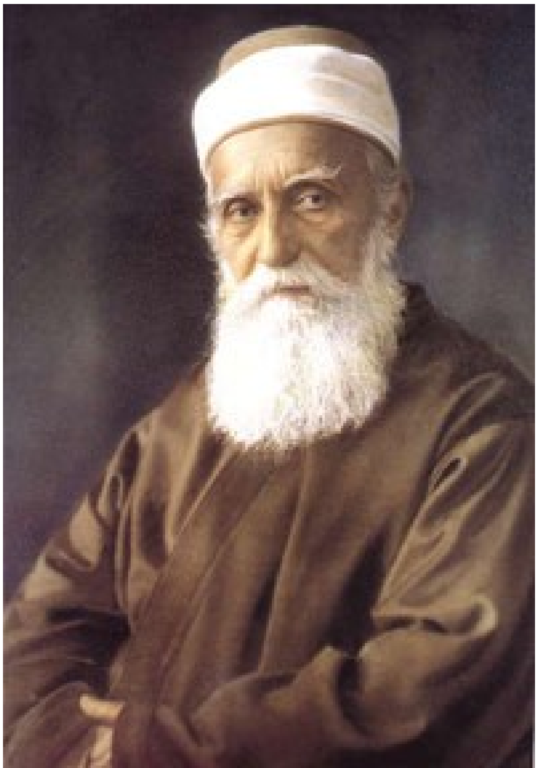

الغصن الاعظم عباس أفندي الملقب بـ حضرة عبد البهاء الابن الارشد لـ
حضرة بهاء الله
عاش (1844-1921م) و لايته (1892-1921م)